رواية

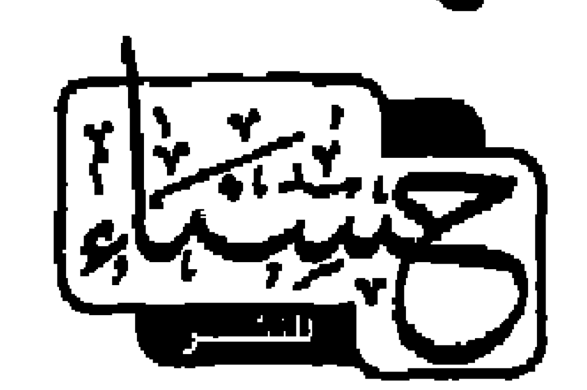
نصف ظِل

أحمد محمد زويل

سناء للنشر

نصف ظل

ديوى : 813
زويل ، أحمد محمد
نصف ظل / أحمد محمد زويل
الإسكندرية : حسناء للنشر
ط1 / 2015
138 ص ، 20 سم
تدمك : 978-977-6535-16-9
قصص
التوابع
أحمد محمد زويل
رقم الإيداع : 2015 / 26745



الإسكندرية ، ج . م . ع
01018831361
01022842898

المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

إهداء ٢٠١٦

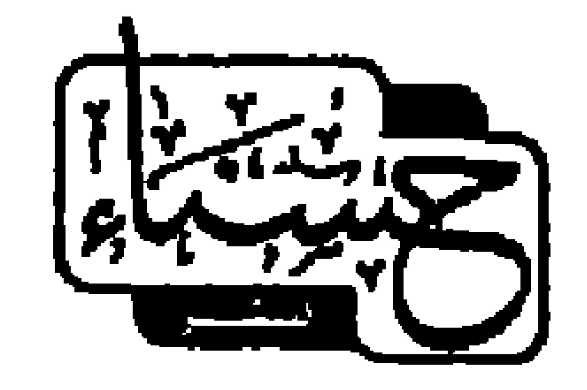
دار حسناء

جمهورية مصر العربية

نصف ظل

رواية

أحمد محمد زويل



بعض شخصيات الرواية حقيقية تم استخدامها فى إطار خيالى

"أغلب الناس لا يعيشون، هم فقط موجودون"

أوسكار وايلد

(1)

يوشك جهاز (نبضات القلب) أن يستقيم خطه الأخضر ذو الخطوط المتعرجة التى تشبه إلى حدٍ ما تعرجات الهضاب على أرض صحراوية جرداء، يضرب بإيقاعه الرتيب صدور كل من له أذنان.
أنبوب التنفس المُلتصق بأنفه المتوسط الحجم يتغيم بزفيره المُتصاعد من فتحتى أنفه، صدره يهبط ويعلو فى سباق لا ينتهى، تبرز من جفنيـــه حركة ترددية توضح تحرك حدقتى عينيه المُنغلقـــتين مـــن الشـــمال للجنوب ومن الشرق للغرب بلا توقف .

إنها النهاية ، وعند النهاية تمر اللحظات مُتجمدة .

ثلاث من الأطباء يسعون لإيقاظ تلك الجثة الراقدة أمامهم علـــى السرير الأبيض، يرتدون القفازات وغطاء الأنف ورداءهـــم المائـــل للزُرقة ، يتصبب العرق من جبين أحدهم فيمسحه بكف قميصـــه .. غيوم التوتر تُحلق فى سقف غرفة الإنعاش ..

الإنعاش

إنعاش

إن عاش

يضرب (هشام) الحائط بقبضة يده، تلعنه يده، دائما ما كان يؤمن أن كل شيء قادر على الكلام ..كان يسمع يده تلعنه عندما تحمل ما يفوق طاقتها، وقدمه تشتكي طول الطريق .

لا نوافذ يرى منها صديقه، روّج له صُناع الأفلام نوافذ ترى منها العملية بوضوح تام .. ترى توتر الأطباء وجهاز نبضات القلب وأدواتهم التي استعملها صُناع أفلام الرعب فيما بعد لقتل الضحايا وحبس أنفاس المُتابعين .

الإنعاش

إنعاش

إن عاش

الجاذبية تسحبه لأسفل ، يسقط ، لا يرى مُستقره، لا يرى مصدر الجاذبية، كل ما يراه ..لا شيء !

نفق مُظلم قاتم السواد والأعماق بلا قمر يتغذى على ضــوئه.. يسقط لأسفل بلا مُستقر .. لا نهاية للنفق ، رأسه لأسفل وجســده مستقيم لا يتحرك .. فقد القدرة على تحريكه ولا يدرى متى ، عيناه تبحثان عن شيء تلتهمانه، ولكن الظلام ابتلع كل شــيء هنــا ولا وجود لنقيضه ليحاربه .

فى النهاية لا مفر من الاستسلام التام .

المقاومة الآن أشد من الغباء .

الآلام تعتصره فترك زمام المقاومة .. غاب حارس المرمى ليسدد الألم ضربته الأقوى والأمثل .. إنه وقت انتصار فريق الآلام .

السلام الداخلى .

الاستسلام .

هناك ما يجعل جسده بحجم الريشة، ربما لم تعد الأشياء هنا مقياسًــا مناسبًا للحجم، فكان جسده خفيفًا بوزن الريشة ويسقط بســرعة الصواريخ .

لا شيء يمر بعقله ذو فائدة، لا يوجد شيء مهم أو غير مهم، اختفى عنصر التضاد فاختفت المعانى .

الاستسلام .

السلام الداخلى .

ضوء أبيض قذف به الظلام بنهاية النفق ، عيناه مثبتتان عليه .. ليس بالضوء المبهر ولكن الظلام جعله أكثر إبهاراً من برج إيفل بمنتصف الليل، أكثر إبهاراً من أضواء لاس فيجاس .

يولد بداخله خليط من المشاعر صعبة الوصف، السلام، الراحة، الفرحة، الملاذ الأخير ..

ملاذ ما بعد النهاية .

يسقط باتجاه الضوء .. يستسلم .. يبتسم ..

السلام الداخلى .

الاستسلام .

(2)

التقط الرئيس (محمد حسنى مبارك) الميكروفون وسط صياح الجماهير بستاد (برج العرب) وقال بصوت رتيب سريع وكأنه فى سباق : « بسم الله ..نبدأ بطولة كأس العالم .. للشباب .. لكرة القدم .. تحت عشرين سنة .. مصر ٢٠٠٩ .. شكراً »

هنا بالذات ازدادت الصيحات والهتاف واهتزت المُدرجات مما تحمل وتتحمل من بشر .

رتب (هشام) على كتف (أحمد هلال) فشعر بارتجافه كُلما ارتفعت أصوات الجماهير : « بالتوفيق يا هلال . »

نظر له (أحمد) وابتسم بينما يستعد بباقى اللاعبين فى الغرفة الخاصة بهم للمباراة الافتتاحية الأولى بين (مصر) و(ترينيدادوتوباجو). قمصانهم الحمراء يتصاعد منها القلق والخوف .. هى أولى المباريات لهم بين هذا الكم من الجماهير .. الصوت الرتيب لرئيس الجمهورية زاد من توترهم .

(رئيس الجمهورية) : هو أسطورة لا تستطيع رؤيته إلا من خلال شاشة التلفاز أو الكمبيوتر ، وإن حدثت المُعجزة ورأيته أمامك فى يوم .. يجب أن تُقدم أفضل ما لديك كقُربان مقابل رؤية وجهه

الكريم .

وقف (أحمد هلال) أمام المرآة ينظر لقميصه الأحمر الذى يحمل علامة (المنتخب المصري) على صدره ورقم ٣٢ على ظهره وكُتب اسمه بحروف إنجليزية كبيرة (H E L A L)، مسح بكفيه وجهه وصوت (عمرو مصطفى) يتردد ويجوب الاستاد حديث العهد بأغنيتين مع الأضواء والاستعراض المُبهر .

غادر (هشام) غرفة اللاعبين ليعود لمكانه وسط الجماهير بعدما استأمنه (أحمد) على مِحفظته وهاتفه الـ(نوكيا) وساعته الـ(كاسيو)، كان دخوله مع (أحمد) معجزة حيث لا يُسمح بدخول هذه الغرفة لغير اللاعبين .. اشترى زجاجة من الماء بأضعاف ثمنها من أحد الباعة بالاستاد ..واتخذ مكانه بأحد المُدرجات .

اصطف لاعبو الفريقين على أرض المُبارة الخضراء .. تخفق القلوب وترتجف الأقدام لرؤية 80 ألف متابع للمُبارة تم توزيعهم على المُدرجات ليتزاحمون ويتشابكون كالنمل . يغلب عليهم اللون الأحمر والرايات الحمراء المرفوعة وأعلام المُنتخب

بدأت موسيقى النشيد الوطنى الاختلاط بالهواء وتابعتها كلمات النشيد بأصوات الحضور واللاعبين ..

بلادى ، بلادى ، بلادى ..

لكِ حُبى وفؤادى ..

يتقافز الدم ليملأ عروق الوجه، تتسابق قطرات العرق فى الخروج من مسامات الجلد ..

مصر يا أم البلاد ..

أنتِ غايتى والمراد ..

وعلى كُلِ العباد ..

كَم لنيلك من أيادى ..

قفز صوت مدير مدرسة (أحمد) الإعدادية لعقلـه وهـو يصـرخ بالطلاب فى الطابور : « (على كُلِ) مش كلَ العباد ! »

وأيقن أن الوقت ليس بالوقت المناسب لتـذكر تلـك الأحـداث السخيفة .. ولكن بعض الذكريات تمُر بلا رُسوم للعقل !

بلادى ، بلادى ، بلادى ..

لكِ حُبى وفؤادى ..

(لكِ حُبى) ..مر وجه (دينا) أمامه .. ليست الكُرة فقط ما يعشقها اللاعب، و لم تكُن الجملة فى النشيد تعنى لأحمد الوطن بقدر ما كانت

تعنى له (دينا) .. ذلك الوطن الدافئ ذا الوجه الصغير الملائكى ، والعيون السوداء الليلية .. تسأل (أحمد) مرة كيف لعينيها شديدة السواد أن تتجنب تشويه الضوء لكُل ما هو مُظلم .

بعض الذكريات تُمر بلا رُسوم للعقل !

أخذت عيناه جولة بين المدرجات بحثاً عن وجهها بين آلاف الوجوه بلا جدوى ..

« أنت سرحان فى إيه يا هلال ؟ »

كان ذلك صوت (أحمد حجازى) لاعب المنتخب المصرى الذى اختاره المُدرب التشيكي (ميروسلاف سوكوب) من شباب الإسماعيلى ، صاحب الرقم 6 ومتخصص فى مركز خط وسط مدافع .

استأنف كلامه قائلاً : « أنا مرعوب من المَنظر-بس ماسك نفسى، وبعدين دى فرصتنا .. إمسك نفسك شوية . »

قابل أحمد كلامه بإيماءة صغيرة واصطف مع باقى اللاعبين لالتقاط الصورة التقليدية قبل بدء المُباراة ..وتبادل قائدا الفريقين الأعلام ، اتخذ لاعبو الفريقين أماكنهم على أرض الملعب الأخضر الحديث ، مسح أحمد عرقه بكفه العارى وبدأ يتقافز أملاً فى تنشيط عضلات جسمه ، نظر له (أحمد حجازى) بعينيه السوداوين ورفع يده بعلامة

النصر (كف مضموم ويعلوه الإبهام) التى كان يُحب أن يتبادلها معه مُنذ بداية تدريبات المُنتخب مُطمئناً إياه .. كانا يتشاركان معاً فى أشياء كثيرة مِثل الشعر الطويل إلا أن شعر (أحمد) كان أنعم من (حجازى) وطريقة الاستحواذ على الكُرة وبعض المهارات الفردية والسن، إذ كان الاثنان من أبناء الثامنة عشر عاماً .. أما ما جعل صداقتهما تتطور بسرعةٍ هو شغفهما بسماع ألبومات (بينك فلويد) أثناء التدريبات الجسدية وخاصة ألبوم (The Dark Side Of The Moon) مما زاد من فترات تدريباتهما بطريقة ملحوظة .

صفر الحكم البلجيكى (فرانك ديبليكير) لبدء المُباراة وتناقلت الكُرة بين الاحذية مُختلفة الألوان للمنتخب .. وهتف المتفرجون بعبارات النصر لجهلهم بأغلب أسماء اللاعبين حتى امتلأ الملعب بالضجيج .

انتقلت الكُرة لقدم (أحمد) وتلاقت عيناه بأحد لاعبى المنتخب المنافس يركض نحوه ليقطع الكُرة، رفع (طلعت) يده اليُمنى مُلوحاً لـ (أحمد) فقذف الكُرة نحوه فالتقطها بباطن قدمه وقذفها باتجاه أحد المهاجمين .

* الدقيقة 27 من زمن المباراة *

فتح (هشام) زجاجة المياه المعدنية وعلق رقبتها بفمه لتسرى المياه فى حلقه بين صيحات التشجيع ..وعندما انتهى أغلقهـــا بغطائهـــا الأزرق الصغير ..

كابتن

كان صوت أحد الجالسين بجواره فالتفت إليه وهو يمسح بكفـــه العارى الماء الهارب من مسار فمه .

أشرب بس لامؤخذة ..

قذف (هشام) الزجاجة بين كفيه، رن هـــاتف (أحمـــد) الــــ (النوكيا إن ٧٣) بالعزف المُنفرد الأول من أغنية (Time) لـــ(بينك فلويد) فأخرجه بهدوء ليجد اسم (دينا) يضيئ على الهاتف ..ضـــغط على الزر الأخضر وألصق الهاتف بأذنه اليُسرى .

كان ضجيج التشجيع واختلاط الحروف المُنطلقة مـــن الأفـــواه يشوّش على المكالمة .. فألصق إصبعه السبابة بأذنه الـــيمنى وضـــغط بالهاتف على اليُسرى ليأتيه الصوت بشـــكل أقـــوى : « أحمـــد .. أحمد!»

أنا مش أحمد يا دينا .. أنا هشام !

إتش .. أحمد معاك ؟ .. عايزاه ضرورى .. وإيه الدوشة دى ؟

نقل (هشام) الهاتف من الأذن اليسرى لليمنى واستأنف : « دوشة ! .. أحمد بيلعب الماتش يا دينا .. انتِ مبتتفرجيش عليه ؟ »

آه الماتش ! ..

يا نفوخى أنا نسيت !

الماتش حيخلص إمتى ؟

ســ..

قاطعه مُستعير الزُجاجة بقذفها له ، فالتقط (هشام) الزجاجة بيده اليسرى ورجها ليستبين كم بقى منها واكتشف أنه لم يبق إلا ما يكفى لشربة أو اثنتين على الأكثر .. تذكر سعرها المُبالغ فيه باستياء وأكمل : « ساعة ونص ، وساعة كمان عشان أوصل لأحمد . »

هشام .. بلّغه إنى .. ولا خليها مفاجأة ، حكلمك بعدين .. باى.

ديـ..

(جووووول) !

ازداد صياح الجماهير بعد إحراز الهدف الأول بأقدام (عفروتـو)

فى الدقيقة الـــ31 من عمر الشوط الأول لصالح المُنتخب الـــوطنى ، مما جعل هشام يُسقط الهاتف من التدافع ، وانخفض بجسده يلتقطـــه وسط الأقدام، ولحسن حظه أصبح بين كفيه قبل أن تدهسه الأحذية.

(3)

يسقط للأسفل ..قدماه لا تتحركان ! عيناه مُثبتتان على مصدر الضوء ، يداه مفرودتان على جانبيه .. إلى متى وأين ؟ .. "لا إجابة" هذا المكان إذا أطلقتِ عليه لقب (مكان) لا ينتمي لقوانين العالم .. لا وجود لقوانين الرياضيات هنا من الأساس لقياس أبعاده !

صاح (هشام) : « دكتور ! »

بالطبيب الخارج من غرفة الإنعاش ..ذلك النحيل ، مُمتلئ الوجه، ذو الحاجبين الكثيفين والشعر الأسود الكثيف..فالتفت إليه الأخير فأكمل (هشام) :

طمني يا دكتور ؟

بهدوء أخرج الطبيب من الجيب الأيسر لبنطاله ساعته الـ(روليكس) ونظر لعقاربها السوداء (التاسعة والنصف) ولف معصمه الأيسر بمعدنها الفضي ..

« تعالى نتكلم برا أحسن . »

والتفت الطبيب قبل أن يسمع رد (هشام) واتجه صوب باب الخروج من المستشفى .

كانت المُستشفى صغيرة .. ولكنها الأقرب من ستاذ (برج

العرب)، و لم يُحاول (هشام) أن يلتقط اســم المُستشــفى ويحفظــه بداخل عقله ..في الحقيقة لم تكن ذاكرته من النوع الذى يحتفظ بكل ما مر عليه ..ربما نسبة استغلال (هشام) لها لا تتعدى الــ١٥% .

خرجا من باب المُستشفى الخلفى الهادئ وصفع الهــواء الرطــب وجهيهما بقوة فاستنشقه الطبيب بهدوء بينما تنفجر خلايــا عقــل (هشام) من برودة .

خلع الطبيب معطفه الأبيض وصنع من يده اليُسرى شماعة ليعلقه عليها .. ودس يده اليُمنى بجيبه الأيمن وأخرج ولاعة (دى جيــب) و علبة سجائر (ميرت أصفر) وأخرج أحد مُحتوياتها وناولهــا لهشــام الذى هز رأسه بالرفض ..

مبتدخنش ؟

نظر له (هشام) بعصبية .

خير ما فعلت .

قالها الدكتور والتقط السيجارة بشفتيه وفرك العجلــة المعدنيــة للولاعة لتولد النار بعدما صنع حاجزاً من الأصابع حــول الولاعــة ليمنع الهواء من إطفاء النار المُشتعلة .

ممكن أعرف (أحمد) ماله يا دكتور ؟

أخرج الطبيب من فمه دفعة كبيرة من الدخان مرة واحدةً وكأنه

التهم جمرة وقال وعيناه مُثبتتان على السماء المكسوة بالنجوم :
«معرفش ! »
انت بتهزر ؟

تثاءب الطبيب وحاول صناعة سد أمام فمه بيده اليُسرى وأجاب ببرود : « أنا فعلاً معرفش ! .. لكن على الأرجح إن اللى عنـــده تشخيصه نفسى أكثر منه عضوى ، فهمت حاجة ؟ »
هز (هشام) رأسه بالنفى فأكمل الطبيب : « ولا أنا ! »
امتص بعض الدخان من سيجارته واستأنف حديثـه : « هـو بيشكى من مرض وراثى مشابه لحالته زى الشيخوخة المُبكرة مثلاً؟»
أجاب (هشام) بلا تفكير : « لا ! »
هو متجوز ؟

ارتفع حاجبا (هشام) وظن للحظة أن شخصاً آخر بداخل غرفة الإنعاش !
لا مش متجوز .. أحمد ١٨ سنة !
معاك بطاقته أو أى إثبات شخصية ؟

أومأ (هشام) برأسه وأخرج من جيبه محفظة (أحمد) الـــ(ليفيس)

السوداء ، وأخرج منها بطاقته وناولها للدكتور الذى بدوره ظل مُثبتاً عينيه عليها لفترة ، التقط نفساً طويلاً من السيجارة الــتى دُهســـت بعدها بكعب الحذاء وأخرج الدخان دفعة واحدة وهو يحك مـــؤخرة رأسه : « مواليد ١٩٩١ . »

أومأ (هشام) برأسه .

إزاى وشعره أبيض !؟

(4)

* الدقيقة الـــ ٤٠ من زمن المباراة *

صفّر الحكم البلجيكى (فرانك ديبليكير) عقب عرقلة أحد لاعبى الفريق المنافس لـــ(أحمد) بخطأ وركلة حُرة لصالح المُنتخب المصـــرى من خارج خط الـــ١٨ ، التقط (أحمد) أنفاسه ومسح عرق جبينـــه بالسوار القطنى الأبيض ماركة (نايك) الذى يلف معصمه الأيسر .. وحمل الكُرة بكلتا يديه ، فيما استعد الفريق المنافس لبنـــاء حـــائط بشرى مُكون من ٤ لاعبين .

وضع الكُرة على الأرض بينما الجمهور لا يتوقف عن الصياح .

ضم الرئيس (محمد حسنى مبارك) كفيه وشبك أصابعه العشـــرة فيما ظلت تعابير وجهه ثابتة – جامدة لا تتغير ولا تتأثر بأى شـــيء تراه ..فك شبكة أصابعه وهرش بسبابته الجانب الأيسر من جبينـــه وأعاد أصابعه للتشابك مُجدداً فتزاحمت أصابعه العشرة حتى اصطفت فوق بعضها، وتنهد بنعاس فابتلع أحد الحراس ذوي البذل الســـوداء

القائمة الواقفين خلفه ريقه .. وعيناه تتنقل بين الرئيس والمُباراة مـــن خلف نظارته السوداء التي تعطيه منظراً مهيباً بجوار طوله الذى تجاوز ٢٠٠ سم ووزنه الذى تجاوز الـــ٩٠ كيلوجرام ..ورأسه الحليـــق، كل ذلك جعل منه وحشاً بشرياً بمعنى الكلمة .

تحسس مسدسه من نوع (إتش تى مارك ٢٣) بيده اليُمنى ولكن سكون الرئيس فى مكانه هدّأ من قلقه قليلاً .

(إتش تى مارك ٢٣) ذلك المسدس المصنوع فى أمريكا وألمانيـــا سنة١٩٩١ وتستخدمه القوات الخاصة الأمريكية وطلـــب الـــرئيس لطاقم حراسته الشخصية امتلاكه .

علق نظره على المُباراة من خلف الزجاج المضاد للرصاص النظيف لدرجة أنك لا تُميز وجوده من عدمه الذى يُحيط بمجلس الـــرئيس ويفصله عن الملعب .

هبطت بومة بيضاء اللون كثلوج لندن فى ديســـمبر، بأضـــعاف حجم البومة العادية، عيناها بلون العسل وقزحيتها ســـوداء قاتمـــة ، لتُثبت مخالبها وتقف على عارضة المرمى فى مواجهة (أحمد) .

صفر الحكم ببدء الركلة الحرة ، وجه (أحمد) تركيزه عن كثـــب ناحية الجانب الأيمن من المرمى استناداً لاحتلال حارس المرمى الجانب الأيسر .. وقف ثلاثة لاعبين من الحائط البشرى فى مواجهة (أحمد) بينما الرابع يقف بجهة عكسية .

شعر أحمد بشيء يتخلل الأرض من تحت قدمه اليُسرى ، رفـع قدمه ليجد (أفعى) سوداء صغيرة الحجم ، ذات طـول متوسـط ، رأسها المثلث الشكل تحمل عينين بلون الكوكب الأزرق ..وكـأن الأرض خُلقت بين جفنيها .

تراجع (أحمد) بضع خطوات فى ذعر .. وطارت البومة البيضـاء لتقف على أكتافه وهمست بصوتها المُميز ليخترق الصوت أُذنه : « لم يحن وقتك بعد ! »

ثلج !

أطلق (أحمد) ذلك الاسم على تلك البومة التى رافقته مُنذ طفولته للونها الأبيض الثلجى .. لا أحد يراها غيره مُنذ أن كان فى الخامسـة من عمره .

زحفت الأفعى ببطء تجاهه ، تمالك نفسه واسـتجمع شـجاعته وسحب بقدر رئته الهواء ، ودهس رأسها بحذائه الأبيض الـ(نايك) .. تنفس الصعداء وفى أقل من 5 ثوان ظهرت عشرات الأفـاعى فى جميع أرجاء الملعب ، ثم المئات والآلاف .. تزحف نحوه وكأنه فـأر وقع فى مزرعة قطط جائعة .

حلق (ثلج) فى الهواء ينعق بصوته فى غضب ..وراح يلتقط الأفاعى بمخالبه واحدة تلو الأخرى وينتزع رأسها بمنقاره ..فيما تُكمل الأفاعى زحفها نحو (أحمد) الذى سقط على الأرض وجسده يرتجف وعيناه تزدادان اتساعاً ، كُلما اقتربت منه إحدى الأفاعى انقض عليها (ثلج) بمخالبه .

تجمع الفريق حول (أحمد) فى تعجب واضح ، واقترب منه الحكم البلجيكى وتمتم بكلمات إنجليزية لم يفهمها .

« هلال .. انت كويس ؟ »

قالها (حجازى) ، ولكنه لم يسمعه وربما لم يهتم لذلك الصوت .. ثوان من الذعر مرت عليه ، وفقد اتصاله بكُل ما حوله .. و(ثلج) ينعق بذعره الحيوانى وهو يطير حوله بسرعة جنونية .

التفت الرئيس لحارسه الذى كان بالفعل أخرج مسدسه فى ذعر وكأن سقوط (أحمد) هو عمل إرهابى مُدبر ، وابتسم نصف ابتسامة وأردف : « العالم كله بيشوفنا يا (شريف) .. أنت عارف ده معناه إيه ؟ »

رد (شريف) بشيء من التوتر والخشوع وعيناه لازمتا الأرض من خلف النظارة السوداء : « حالاً الواد ده حيطلع برا الملعب يا سيادة

الريس . »

مش بس يطلع ..

شبك الرئيس أصابعه والتفت ناحية الملعب وأكمل :« اللى يرفع سلاحه بدون مبرر يحصله . »

(5)

الضوء يسقط فى فوهة الظلام روايداً روايداً ، الأصـــوات تعلـــو فجأة وتتشابك .. عيناه تحاولان ابتلاع ما تبقى من الضـــوء بـــآخر النفق.

صاح (ثلج) بصوته الذى تردد صداه وتخلل تداخل الأصوات :

« مازال لديك بعض الوقت . »

فتح (أحمد) عينيه فى ذعر ، الصور تداخلت أمامه لثوان قبـــل أن تستقر على صورة واضحة للغرفة، تجولت عيناه فى الغرفة التى كل ما بها أبيض اللون، رفع يده اليُمنى بصعوبة وكأن عظامه تهشمت ونزع ذلك الأنبوب المُتصل بفمه وأنفه.

و(ثلج) بنهاية السرير يُحرك رأسه الكبيْر بطريقة دائرية .

فُتح باب الغُرفة فدخل (هشام) برفقة الطبيـــب، تقلـــص وجـــه (هشام) لرؤية صديقه الذى انتشرت التجاعيد بوجهه فمحى اللـــون وتغير لون شعره الأسود للأبيض الثلجى .. لم تسلم خُصلة واحـــدة من هذا ..صاح (هشام) وهو يقترب من سريره بتردد واضح وعيناه

مُتسعتان لا ترمشان وجلس على ركبتيه بجوار السرير : « إيه اللـــى حصلك ؟ »

أنا فين ؟

قالها بحشرجة وكأن خنجراً اخترق حنجرته فأجاب (هشـــام) : «فى المستشفى ..أنا عايز أعرف إيه اللى حصلك فى الملعب ؟ »

ثعابين

ثعابين !؟

فى كل حتة ..

تبادل (هشام) والطبيب النظرات ، رفع الطبيب كفيـــه ولـــوى شفتيه وأغمض عينيه بإشارة أنه لا يعلم !

ثبت (أحمد) عينيه على (ثلج) الذى بدأ يحُك جناحيـــه بمنقـــاره وأكمل : « ثعابين لونها أسود ! »

قال الطبيب بلهجة هادئة وهو يعبث بقداحتـــه : « طيـــب لازم ترتاح دلوقتى ، يلا بينا يا هشام . »

نهض (هشام) من جلسته ورافق الطبيب للخارج الـــذى تمـــتم بصوت منخفض وهو يحك أنفه : « هلاوس ! »

وأغلقا باب الغرفة على (أحمد) ، بدأ يحرك أطرافه بصعوبة حتى استجابت بالنهاية واستند على طرف المنضدة التى بجوار السرير ولمح ساعته (الكاسيو) السوداء تشير إلى العاشرة والنصف مساءاً ، جلس وهو يتنهد بتعب والعرق يغزو مسام جبينه ، وجه نظره للأرض فلمح خصلة بيضاء من شعره الطويل تتدلىٰ أمام عينيه ، أمسك بها بأطراف أصابعه وشدها بقوة حتى أصبحت بعض الشعرات بين يديه .. بيضاء كالثلج – أطول مما كانت عليه سابقاً .. نهض بفزع فيما راقبه (ثلج) بدون كلام وسرعان ما وقف على قدميه ، طار (ثلج) وهبط على كتفه .. ومشى (أحمد) تجاه المرآة المُعلقة على حائط الغرفة ووقف بلا حراك وكأن أقدامه ضربت بجذور تخللت الأرض .

فُتح باب الغرفة وظهر (هشام) بيده هاتف (أحمد) الـ(نوكيا) وصاح : « أحمد ، دينا بتتصل بيك . »

لم يُجب وكأن لسانه قد قُطع ، رآه (هشام) أمام المرآة بلا حراك.. فلم ينطق ، وكأن الألسنة فى سباق لتُقطع .. و(ثلج) ينعق بصوت مُنخفض بلا توقف !

وظل هاتفه النوكيا بيد (هشام) يرن بصوت العزف المُنفرد ببداية أغنية (Time) لـ (بينك فلويد)

(6)

توقف المطر بعد هطوله الذى دام أكثر من ربع ساعة ، أغلقت مظلتها السوداء الصغيرة وبدأت تستنشق الهواء .. دائماً ما تقول إن أفضل وقت لاستنشاق الهواء فى (لندن) هو بعد هطول الأمطار مباشرةً، تأملت القطرات الصغيرة الباقية بجُعبة السماء من (جسر البرج) وهى تصطدم بماء نهر (التايمز) فتصنع فقاعات صغيرة عمرها لا يتعدى الثانية .

أسندت مظلتها على سطح الجسر وتثاءبت بكسل فتسلل البرد لجسدها النحيل المُتناسق وتطايرت خصلات شعرها الطويل بفعل الرياح، فأحكمت إغلاق معطفها الـ(كليفن كلاين) الأسود لعله يُخفف برد لندن، ورتبت خصلات شعرها البُنى الطويل المُتطاير وأخرجت هاتفها الـ(سامسونج جلاكسى) وطلبت رقم (وليام) فجاءها الرد بعد ثوان :

دينا ..

أيها الغبى ، إلى متى سأنتظرك ؟

أنا بالفعل آسف ، سأصل خلال دقيقة .

أغلقت المُكالمة ونظرت لشاشة الهاتف لتستبين الوقت (الرابعة و١٠ دقائق) .. ثم تابعت طقوسها فى استنشاق الهواء ومتابعة قطرات المطر ، حتى ظهر أمامها يحمل مظلته السوداء الصغيرة بيده اليُسرى .. ويرتدى معطفًا جلديًا أسود مُحكم الإغلاق وبنطالاً أسود .

استقلا (تاكسى) إلى مقهى (متحف تيت) الذى يقع ضمن متحف (تيت) على ضفة نهر (التايمز)، وحك العامل بالمقهى رأسه تعجباً من دخول ذلك الثنائى ذوى المعاطف والمظلات السوداء فى حين أن معظم الناس لم تنزل من بيوتها فى يوم مُمطرٍ كهذا !

استقرا على إحدى الطاولات الدائرية وخلع (وليام) معطفه المُبلل وعلقه على الكُرسى بجواره كاشفاً عن قميص (بولو) أبيض ذي خطوط عرضية باللون البُنى، اشترى ذلك القميص خصيصاً لأنها تُحب اللون البُنى، ثوان وجاء عامل المقهى فطلبت (دينا) إسبريسو وزاد تعجب عامل المقهى عندما اختار (وليام) صودا باردة (كوكاكولا) فى حين أن الجميع يطلب المشروبات الساخنة فى وقتٍ كهذا؛ لم يكن يعلم عامل المقهى "دائم التعجب" أن (وليام) لا يُحب المشروبات الساخنة، ولم يعلم أنه يكاد لا يشعر بالبرد بجوار دينا .. لم تُخمد عيناها البُنيتان نار شوقه الذى يتزايد يوماً بعد يوم لها .. وكأنها لم تكُن بجوازه ، لقد اختار اليوم تحديداً ليصارحها بحقيقة

مشاعره التى أصبحت "لعنة" بلا "لاعن" .

ارتشفت (دينا) بعضاً من الإسبريسو وأخرج (وليام) علبة سجائره الـ(مورلبورو) من جيب المعطف المُبلل وأشعل سيجارة بهدوء .

أتسمح لى بواحدة ؟

لم أكن أعلم أنكِ تدخنين ؟

قالها وهو يُخرج سيجارة من علبته ويناولها لـ(دينا) فأكملت : « حسناً ، إن بعض النيكوتين من وقتٍ لآخر لن يضر كثيراً . »

أشعلتها بهدوء فقفز قلبه ! .. تزيد السيجارة منها جمالاً وجاذبية، كانت هى المرة الأولى التى يراها فيها تُدخن ، وقد قرر فى قَرارة نفسه أنه لن يستبدل نوع سجائره بنوع آخر ، فربما لن تُدخن (دينا) نوعاً آخر .

وليام ، ماذا كنت تُريد منى ؟

تلعثم قليلاً فى الإجابة ؛ فقد دعاها بلا سبب ، مُجرد اشتياق لوجهها كفيل بأن يُدخله فى نوبات من السُهاد لا ترحل ، استجمع شجاعته وتوقفت قدمه عن حركتها الترددية، واعتصر أنفاس سيجارته وقال : « كُنت أريد ان أتحدث معكِ فى عِدة أشياء تُزاحم عقلى مُنذ فترة .. »

مِثل ماذا ؟

حسناً ..إن ..عندما ..ذلك الـ ..

قاطعته : « وليام ، وليام ..أعلم أنك تجد صعوبة فى التعبير عما بداخلك ..إن الأمر بسيط ! »

كيف ذلك ؟

لنلعب لعبة ..

نفضت رماد السيجارة فى منفضة السجائر وأكملت : « ستكتب أربعة أسئلة على ٤ أوراق صغيرة .. وسؤال تُريد إجابته بصدق فى ورقة خامسة ثم ستخلط الأوراق وسأختار ورقة تلو الأخرى عشوائياً وسأجيب على الأسئلة واحداً تلو الآخر، وأنا لا أعلم أيها السؤال المُهم .. أو ما تريد بالفعل معرفته ، ما رأيك ؟ »

موافق ، ولكن دعيني أختار الأوراق بنفسي، لا داعي للعشوائية .

حسناً لك ذلك .

أخرج (وليام) مُفكرة صغيرة صفراء يكتب بها الملاحظات أحياناً من جيب بنطاله ، ومزق منها خمس أوراق والتقط قلمّا رصاص (إتش بى) أزرق قصير القامة نُحل رأسه ، يستعمله أحياناً فى تدوين أفكاره وخواطره .. وكتب على الخمس أوراق بالترتيب :

• لماذا سافرتِ إلى لندن ؟

• هل فكرتِ بالعودة لمصر ؟

• من هو (وليام دويل) بالنسبة لكِ ؟

• هل وقعتِ فى فخاخ الحب ؟

• هل أروق لكِ ؟

ووضع تحت السؤال الأخير فى الورقة الخامسة خط .

•هل أروق لكِ ؟

أعطاها أولى الأوراق فألتقطتها منه وقرأت السؤال بهدوء (لماذا سافرتِ إلى لندن ؟) ..وأجابت بهدوء : « إنها لقصة طويلة (وليام).»

أشعل (وليام) سيجارة فى صمت فأكملت : « انفصل والديّ مُنذ كُنت فى العاشرة، وعندما أتممت السابعة عشرة لحقت بوالدتى التى قررت أن تعيش فى لندن مع خالى (على) . »

هذه ليست بقصة طويلة ؟

عندما تمسح التفاصيل تصير القصة أجمل !

عقد (وليام) حاجبيه وناولها الورقة الثانية : (هل فكرتِ بالعودة لمصر؟)

فى الحقيقة لم أفكر إطلاقاً فى العودة ، أنت لست مصرياً يا وليام لتعلم أننى الآن حققت أحد أحلام المصريين .

هل جميع المصريين يفكرون بالسفر خارج البلاد ؟

بالطبع لا ، جميعهم يفكرون بالهجرة .

ضحك وناولها الورقة الثالثة : (من هو وليام دويل بالنسبة لكِ ؟) :

قطبت حاجبها وانتزعت بعض الأنفاس من السيجارة وأجابت : « مرت سنة مُنذ لقائنا الأول ، وليام أنت بالفعل صديق كُنت أتمناه يوماً .. لم تستمع أمي يوماً لى مثلما تستمع أنـــت ! .. ربمـــا مـــن أسباب صداقتنا عشقك للكِتابة وعشقى لشخصية (آرثر هولمز) . »

احمر وجهه خجلاً فأكملت : « قصصك البوليســية رائعــة .. وإحياؤك لأسطورة شارلوك هولمز بالطريقة العصرية أذهلتنى . »

كان وليام من أحفاد (آرثر كونان دويل) وقد خلـــق شخصـــية (آرثر هولمز) لإحياء أسطورة شارلوك هولمز من خلال سلسلة قصص تُنشر شهرياً ، استعان باسم كاتب سلسلة هولمز الأصـــلية (آرثـــر) ليصبح حفيد (شارلوك هولمز) وبطل مغامراته فى مدينة لندن ، رغـــم مرور ما يقرب من السنة على بدء سلسلة (آرثر هولمز) إلا أن (وليام) لازال يخجل عندما تنهال عليه الإطراءات، وكانت (دينـــا) تعـــرف ذلك حق المعرفة، وكانت تُحب حُمرة الخجل على وجهـــه، لـــذا أكملت : « إنك بالفعل شخص مُميز . »

ناولها الورقة الرابعة : (هل وقعتِ فى فخاخ الحب ؟) فأجابت :
«أنت تذكرنى بما لا أريد تذكره . »
سأتفهم إن لم تُجيبى !

أطفأت شعلة السيجارة بالمنفضة ودهستها و لم تُطفئ شعلة قلبه ولكنها دهسته ، اتكأت على الطاولة وابتسمت : « انتهى ذلك مُنذ خمس سنوات تقريباً .. فى نفس السنة التى سافرت فيها للندن ، كان اسمه (أحمد هلال) .. وكنا جيراناً نسكن فى نفس الشارع .. لا أذكر كيف اعترف لى بحبه ولكنى أذكرَ كيف انتهت علاقتنا .. عقلى قادر على تذكر النهايات بدقة ! »

أشعلت سيجارة أخرى بدون استئذان وأكملت : « أذكر أن علاقتنا كانت هادئة لا يعكر صفوها إلا أفكاره الغريبة .. كان يحكى لى عن (بومة) تحدثه دائماً وعن ظلال تلاحقه .. كُنا بسن صغيرة لذلك عندما كنت أحكى لأمى ما يقوله لى لم تصدقنى .. أضف إلى معلوماتك أيضاً موت والده المفاجئ و لم يُكمل أحمد حينها سبعة أعوام وتعلقه الشديد به . »

كان يرى هلاوس ؟

لا أعلم تحديداً و لم أهتمَ .. أذكر تنقله من أحد النوادى الصغيرة بالإسكندرية ثم إلى نادى الاتحاد السكندرى ثم للإسماعيلى .. آه

نسيت أن أذكر لك أنه لاعب كرة قدم ..كانت موهبتـــه ســـببًا فى دخوله مباريات كأس العالم ٢٠٠٩ مع منتخب الناشئين .. أقنعـــت والدتى قبل السفر أن نصطحب أحمد معنا ووافقـــت بعـــد إلحـــاح مستمر، كان اللعب لنادٍ من نوادى إنجلترا حلمًا من أحلام أحمـــد ؛ كان يُحب لاعباً إنجليزياً يحمل نفس رقم قميصه (٣٢) .. ولكنى لا أذكر اسمه ..

ديفيد بيكهام ..كان يلعب بذلك القميص عندما انتقـــل إلى (إى سى ميلان) .

نعم إنه هو ، على أية حال اتصلت به لأنقل له ذلك الخبر السعيد ولكنه كان يلعب آنذاك أولى مباريات المنتخب فى كأس العالم .. لم أشاهد تلك المباراة ولكن سمعت أنه سقط على الأرض فجأة وظـــل يصرخ ثم نُقل إلى مستشفى قريبة .. وبعدها تغير كل شيء .

دهست سجارتها التى التقطت أولى أنفاسها فقـــط فى المنفضـــة ورشفت باقى الإسبريسو دفعة واحدة وأكملت : « لقد تغير تمامـــاً ..يشتعل غضباً من أقل شيء ، أصبح قليل الكلام ، ظهرت التجاعيد بوجهه »

ضحكت بمرارة وأكملت : « تلون شعره بالأبيض ! »

الأبيض ! .. كيف ذلك ؟

لا أعلم .. بعد سقوطه فى الملعب ونقله للمستشفى صار شـــعره

كبياض الثلج .. لم أصدق حدوث ذلك فى البداية وكُنــت أظنــه يصبغه بالأبيض كأحد صيحات (ديفيد بيكهام) ، ولكن تأكدت أنه حقيقى مع مرور الوقت .

حك (وليام) رأسه فى تعجب والــتقط بعــض الأنفــاس مــن سيجارته ورشفتين من الصودا وأشار لها أن تُكمل : « لم يوافق على السفر .. أو بالمعنى الأدق لم يوافق على لعب الكرة مرة أخــرى .. صار متوحشاً .. مُنذ بضعة أيام أمسك بقطعة من الخشب وضــرب بها كلباً كان ينبح طوال الليل فى وسط الشارع حتى مات الكلب ! هذا آخر ما وصلنى منه عن طريق صديق له مازالت صلتى به جيدة »

أصار بتلك الوحشية ؟

ربما أكثر من ذلك ، سافرت بدون أن أودعه وقررت ألا أعــود للأبد .. وهذه هى إجابة سؤالك الرابع .. أين السؤال الخامس ؟

أمسك بالورقة الخامسة بين أصابعه وقرأ ما فيها بعينيه (هل أروق لكِ؟) ثم ثناها ووضعها فى جيب بنطاله .. وقال لــ(دينا) مُبتسماً :

حسناً ..لا داعى للسؤال الخامس .

مرت ساعة تحدثا فيها عن (آرثر هولمز) والقصة الأخيرة الـتى لم تُعجب (دينا) بقدر سابقاتها، وعن أفكار (وليام) فى قصته القادمة ومتى سيخرج من عباءة (هولمز) .. ثم غادرا المقهى .. وقررا أن يتمشيا قليلاً فى شوارع لندن، أخرج (وليام) الورقة المطوية من جيب بنطاله وألقى بها فى صندوق للنفايات فى طريقهم ، وفى أثناء سيرهم هطل المطر متدرجاً فى الشدة فرفعا المظلات السوداء فى وجه السماء وتابعت (دينا) القطرات الصغيرة وهى تسقط وتصطدم ببرك مياه صنعتها الأمطار على أسفلت الطريق صانعة فقاعات لا يزيد عمرها عن ثوان وقالت لـ(وليام) : « هذه القطرات كان ينبغى لها السقوط فى نهر التايمز ولكنها ضلت طريقها وسقطت على الأسفلت!»

لم يفهم ما قالت فعقد حاجبيه وتابع سقوط المطر فى صمت .

(7)

فتحت صندوق التزيين الخاص بها أمام المرآة وتأملت وجهها الذى سرقت شمس الصيف بياضه وبدأت شهور الشتاء الأولى ترد له لونه تدريجياً .. فتحت عينيها الناعستين اللتين تحملان حدقتين بلون الفضاء الداكن على مصراعيهما ، ثم ابتسمت فظهرت نغازتها اليتيمة على خدها الأيمن التي ورثتها من أمها المُتوفية .. نظرت لصندوق التزيين (الميكياج) المُمتلئ بالأدوات، فالتقطت (أحمر الشفاه الكريمى) باللون الوردي وطلت شفتيها الحمراوين الداكنتين باللون الوردي الفاتح فذاب على شفتيها اللون .. ثم حددت عينيها وفكرت بإضافة بعض مساحيق التجميل ولكنها تراجعت عن الفكرة ، لفّت شعرها الأسود الطويل فى حلقة وربطته بأحد رباطات الشعر الزرقاء ، ارتدت البلوزة الزرقاء التى لا تعرف ماركتها والبنطال الجينز الأسود ومن فوق البلوزة معطفًا أسود قصيرًا وحذاءً رياضيًا أسود .. المظهر الرجالى الذى تعشقه رغم أنوثتها .. التقطت هاتفها الـ(سامسونج) وكتبت رقم صديقتها (دعاء) الذي تحفظه بدون الحاجة لإخراجه من قائمة الأسماء ..

(لو عايز الرنة دى دوس على علامة النجمة)

قالتها تلك المرأة المجهولة عبر الهاتف واخترق صوت (عمرو دياب) أذنيها : « سبت فراغ كبير .. عندى والله حبيبى ، حبيبى .. وانت هناك بعيد ، مش بعيد عن حبيبى »

ضحكت وتمتمتْ : « يبقى علاء ساها تانى ! »

وأجابت (دعاء) بالنهاية : « ايوا يا (سُهاد) .. »

(سُهاد) : ذلك الاسم الذى طالما كرهته حاملته وتكره أن يناديها أحدٌ به ..

- (علاء) سابك صح ؟

- انتِ عرفتى منين ؟

- ماعلينا .. لما أشوفك .. إنتِ جهزتى ؟

- لا أنا مش حعرف أنزل !

- نعم ! .. وبتقوليلى بعد ما أنا جهزت ؟

- معلش بقى خليها يوم تانى ..

أغلقت (سُهاد) المُكالمة بعد طقوس السلام المُعتادة .. وجلست على الأريكة .. نظرت لساعة الحائط الدائرية لتُشير عقاربها للسادسة والنصف مساءً .. تنهدت بملل ومدت أصابعها لتفُك عُقدة شعرها ولكنها تراجعت عن الفكرة، التقطت حقيبتها النسائية الصغيرة

الزرقاء ماركة (شانيل) المزيفة .. وتجولت بشــقتها ذات الغُـــرفتين تُطفئ مصابيح الإضاءة الواحد تلو الآخر وخرجت من باب الشـــقة وأغلقته .. بحثت عن المُفتاح فى حقيبتها لتُحكم إغلاق الباب ولكنها لم تجده !

ضربت كفها برأسها و لم تصفع وجهها خوفاً على (الميكيـــاج) الخفيف .. أخرجتْ هاتفها واتصلت بأختها الـــتى كانـــت فى دوام العمل فى مكتب المحامى (رأفت الخولى) .. ثوان وجاءها الرد :

« ألو ! »

مريم .. أنا خرجت ونسيت المفتاح فى البيت !

شاطرة ! ..استنى بقى لحد ما أجى من الشغل .

نظرت لساعة هاتفها أثناء المُكالمة وأكملت بسرعة :

حتيجى الساعة كام ؟

10 ونص بالكتير .

جلست على أحد الكراسى بمقهى (البُن البرازيلى) ذلك المقهـــى ذي الديكور الخشبى ومُلصقات لاعبى البرازيل لكرة القدم ، موسيقى فرقة (البيتلز) تغزو أرجاء المقهى والعبارات المُتناغمة ذات خط الرقعة مُعلقة على جوانب المقهى ..

جاء النادل وألقى على الطاولة المُســـتديرة قائمـــة بالمشبـــروبات ولكنها لم تلتقطها بل طلبت من النادل الأصلع الذى يرتدى قميص

(نيمار) الأصفر فى منتخب البرازيل (الاسبريسو) فـــالتقط النـــادل (قائمة المشروبات) وانصرف بهدوء .

جلست أمام شاشة هاتفها وسماعات الأذن تثقب فتحتي أذنيهـــا وموسيقى (محمد منير) تخترق روحها بهدوء ..

"إيديا فى جيوبى وقلبى طِرب .. سارح فى غربة ، بس مش مغترب "

تجولت عيناها بين طاولات المقهى ..ذلك الفتى فى الركن الأيمـــن يتابع المُباراة على شاشة المقهى بين فريقين قرأت اسميهما المختصرين (MCU) و(ARS) ولم تعرفهما ! ، وتلك الفتاة هُنـــاك الـــتى تحمل سيجارة بين إصبعيها تلتفت لسُلم المقهى كثيراً تنتظر أحـــدهم على الأغلب ، وهؤلاء الاثنان الجالسان على طرفى الطاولة لم يتكلما مُنذ ٥ دقائق ، وذلك الغريب ذو القبعة الشتوية المُســـتديرة (آيـــس كاب) يحتسى قهوته ويدخن بهدوء .. ينظر لشُباك المقهى مُنذ فترة !

تابعته (سُهاد) للحظات حتى لاحظت خصلات بيضـــاء ناعمـــة تتخلل قبعته .. صُعقت للحظات عندما تأكدت من لـــون شـــعره الثلجى ، التجاعيد تتخلل وجهه مثلماً تتخلل أُغنية (إيديا فى جيوبى) أذنيها ..

" وحدى لكن ونسان وماشى كدة ، بابتعد ! .. معرفش أو باقترب"

ثوان ووقف ذو الشعر الأبيض وفتح الصندوق الخشبى الصـــغير

على الطاولة ووضع به حساب القهوة وانصرف بهـــدوء .. ظلـــت (سُهاد) تتابعه بهدوء حتى اختفى عن مرمى بصرها ..

أنهت فنجان الإسبريسو سريعاً وتركت ثمنـــه فـــوق الصـــندوق وخرجت من المقهى .. كانت تشعر بالملل مما جعلها تجلـــس علـــى سور الكورنيش، فكرت بشراء بعض الروايات الجديـــدة ولكنـــها تراجعت عن الفكرة بمجرد أن تذكرت عدد الروايات التي تستقر في غُرفتها و لم تقرأها بعد ، تراقب الأمواج التي تُلقـــى بنفســـها علـــى الشاطئ ، تراقب الباعة المُتجولين والعشاق المتراصين على الكورنيش مرت ساعتين على هذا النحو .. و لم تشعر بالملل ! وكأن هواء البحر يمتص مللها سريع الاشتعال .. موسيقى (محمد منير) لم تنقطع ولـــو لثانية .. نظرت لساعة يدها الـــ(آيس وُوتش) الســـوداء تشـــير إلى التاسعة والنصف مساءاً ..

قفزت على الأرض وقررت أن تتمشى قليلاً بلا غاية أو هدف .. وتجولت بين شوارع محطة الرمل مروراً على شوارع المنشية وعبرت لشارع ضيق لم تعلم اسمه ولكنها توقفت عند بدايتـــه لرؤيتـــها (ذا الشعر الأبيض) يقف بين ثلاثة أشخاص يبدو عليهم الغضب ..اثنان منهم يُمسكان بعصا قصيرة والثالث بيده سكين .. توارت على أول الشارع لتراقب ما يحدث بعيون قلقة وعقلها لا يستوعب ما يحدث.. أمسك صاحب السكين بياقة تيشيرت (ذي الشعر الأبيض) وصـــرخ

به : « بقى أنت يابن الـــ(.....) تقتل الكلب .. ده أنا حطلع (...) أمك ! »

ونزع من على رأسه (الآيس كاب) فظهر شعره الأبيض الثلجى الطويل نسبياً، ضحك ذوو العُصيان بخبث .. وصاح أحدهم وهـــو يجذبه من شعره :« صبغاه أبيض يا بيضة ! »

وألقى به على الأرض وانهالت الضربات بالعصى علــى جســده بدون صراخ .. وكأن الألم تخلى عن جسده .. انهار من الضرب ولم يستطع أن يفتح عينه .. فجذبه الفتى ذو السكين من شعره وجعلــه يجلس على الأرض وظهره للجدار وقارب السكين من وجهه ..
دي عشان تفتكر الكلب بيها ..

رن هاتف (سُهاد) بموسيقى أغنية (يونس) فقفز قلبها وارتجفــت بخوف، بحثت عن هاتفها بسرعة فى حقيبتها قبل أن يسمعه هـــؤلاء الفتيان الذين بالفعل سمعوه ولكنهم ركضوا مُبتعدين عـــن الشـــارع خوفاً من أن يراهم أحد ، أخرجت (سُهاد) هاتفها لتجد اسم (مريم) يُضيئ الشاشة أطفأته وسمعت خطوات الفتيان تبتعد عن الشـــارع .. تنهدت باطمئنان وركضت نحو (ذي الشعر الأبيض) تطمئن عليه ..

(8)

نعيق (ثلج) الإيقاعى المُرتب يعبث بأسلاك عقله ، يقطعها واحداً تلو الآخر ولا يقترب من السلك الأحمر حتى لا ينفجر !

كل شيء يتداخل فى رأسه ، تزيد الأصوات المُتداخلة .. تزيد الهمهمات .. نعيق (ثلج) لا يتوقف إلا ليحك جناحه بمنقاره .

فتح (أحمد) عينيه ببطء وبدأت بجولة فى الغرفة ، منضدة صغيرة عليها ما يزيد عن مائة كتاب ، طاولة عليها تلفزيون (توشيبا) قديم يستقر (ثلج) فوقه، نافذة مطلية بالأزرق السماوى تتسلل منها خيوط الضوء تُغطى السرير الذى يمكث عليه (أحمد) ، بهدوء بدأ الأخير بتحريك أصابعه ثم كفه وإنهاك جسده جعله يتوقف ، يتوقف (ثلج) عن النعيق ويسأله بصوته الناعقولغته الغريبة : " من أنت ؟ "

يجيبه بلا تفكير : " لا شيء ! "

يشعر (أحمد) بالحرارة تملأ جسده بالكامل إلا رأسه .. رأسه بارد كلون شعره ! نبضات قلبه تتسابق لثوان ثم تهدأ مُجدداً ، يُفتح باب الغُرفة بهدوء وتدلف منه فتاة فى العشرين ، ذات شعر أسود طويل وعينين سوداوين وملامح هادئة ولكنها جميلة ، ترتدى بيجامة نسائية بنفسجية اللون منثور عليها أزهار بيضاء .. تبتسم لأحمد الذى بدوره

ظل كصخرة ثابتة يُحدق بها ، توقف (ثلج) عن النعيق فيما تقدمت الفتاة ناحية (أحمد) بخطوات مُتراجعة حذرة حتى صارت قبالته، سألته بصوتها الهادئ : « بقيت كويس دلوقتي ؟ »

يومئ برأسه بلا إجابة فتبتسم ، ثم تنحني نحوه نصف انحناءة لتسحب الجاذبية شعرها الأسود الطويل ليُغطي صدرها المُمتلئ ، وتستبدل قماشة مُبللة بكفها الدافئ : « حرارتك نزلت الحمد لله » أدرك حينها أن القماشة المُبتلة كانت السبب في برودة رأسه ثم أكملت حديثها بابتسامة أظهرت غمازتها اليتيمة على خدها الأيمن : « حمدلله ع السلامة . »

أومأ برأسه مع ابتسامة .

« حروح أحضرلك أكل فطار »

قالتها وغادرت الغرفة وأغلقت الباب خلفها .. حينها اتكأ (أحمد) على كفيه ونجح بالنهوض من على السرير .. يسأله (ثلج) بصوته الناعقولغته الغريبة : « من أنت ؟ » يجيبه بلا تفكير : « لست أنا ! »

اتكأ على المنضدة وتحامل على جسده حتى وصل للنافذة ، طار (ثلج) واستقر على كتفيه ، ليس لـ(ثلج) وزن ! خُلق بلا وزن فلا يُشكل عبأ عليه ، نظر إلى المارة في الشوارع وتمتم (ثلج) في أذنه : «الموت لا يختار إلا من جف قلمه .. لذلك لم يخترك بعد »

ينعق ثم يُكمل :

« لا يزال لديك بعض الوقت .. ولكن لم يبقَ الكثير »

تنهد (أحمد) وفُتح الباب مُجدداً فاستدار بشكل تلقـائى فآلمتـه رقبته ليجد تلك الفتاة تحمل صينية بها طعام لم يستبِنه من موقعـه .. قالت له بصوت مذعور : « انت لسه ماخفتش .. ارتاح ميـنفعش تقوم من السرير دلوقتى ! »

أنا فين ؟

تعالى وانت بتاكل حنتكلم ..

أثناء تناول الطعام حكت له (سهاد) ما حدث بأدق التفاصيل .. لا تُحب إهمال التفاصيل ومع ذلك لم يكن حكيها مُملاً .. وعنـدما فرغا من الحديث والطعام ناولته هاتفه وقالت : « فى واحـد اسمـه هشام اتصل بيك ، واديته العنوان على هنا ، زمانه فى السكة »

شكراً .

مفيش حاجة تستاهل الشكر ، انت لو مكانى أكيد كنت عملت كدة بردو ، مش كدة ؟

....

آه صح نسيت أعرفك بنفسى ..

ترددت قليلاً قبل أن تمد يدها بالسلام ثم مدت يدها ..

أنا سُهاد .

مد يده وسلم عليها وقال : « يعنى ايه ؟ »

بُص سُهاد ده اسمى .. ومعناه القلق والقريفة .. عارف لما تبقى قلقان ؟ ، ده اسمه سهاد ، وعشان كدة باكره السؤال ده على فكرة.

لم يُعلق على اسمها وقال : « أحمد ، أحمد هلال ! »

ظهرت على الباب فتاة طويلة فى مُنتصف العشرينات تُغطى شعرها بحجاب تُحكم إغلاقه عند الرقبة بيدها اليُسرى ونادت على (سُهاد) ، فانتبهت الأخيرة أن يدها لا تزال تتشابك بيد (أحمد) فسحبتها بهدوء وقالت : « معلش ! »

أومأ (أحمد) برأسه وانصرفت (سُهاد) بهدوء من الغرفة تتبع تلك الفتاة المُحجبة

(9)

أخرج زجاجة من (بينا كولادا) وتمدد علـــى أريكتـــه الجلديـــة الناعمة، قام بتشغيل قائمة طويلة بموسيقى (بونى إم) التى اعتاد علـــى سماعها مُنذ الصغر، كانت بالنسبة له خلفية موسيقية تخلـــق الإلهـــام وظل يحتسى الشراب حتى فرغ تماماً، فكر بإخراج زجاجة جديـــدة ولكنه تراجع عن ذلك .. فيما استبدل الــ(بونى إم) أغنية (Ride Your Pony) بأغنية (Sunny) .. تأمل قليلاً فى صورة (آرثر كونان دويل) التى يحتفظ بها على حائط غرفته وفكر ببـــدء مغـــامرة جديدة من سلسلة (آرثر هولمز) .

" لنجعل تلك المُغامرة مُختلفة ، ولكن كيف ؟ "

ظل يحدث نفسه مُحدقاً بالصورة على الحائط ، استترف خـــلال تفكيره سيجارتين (مورلبورو) وزجاجتين من الـــ (بينا كولادا) .

" لنجعل المُجرم هذه المرة خفيف الظل ، يحبه الجميـــع .. بـــارع فى صناعة النكات ، لنقتبس شخصيته من (جيم كارى) .. أجل ربمـــا (جيم كارى) فى فيلم (the cable guy) ودافعه للقتل سيكون

من أجل المال .. أمم ، ربما المال دافع قديم .. لنتحدث عن دافع آخر .. من أجل فتاة ! ، قاتل من أجل فتاة ولنجعلها جميلة بالقدر الكافى .. أمم ، ربما مثل (كريستين ستيوارت) ماذا عن المقتول ؟! .. ربما كان زوجها ، قصة قديمة يُمكن حياكتها بأسلوب بوليسى عصرى .. ماذا عن شخصيته ؟ ، ربما ستكون شخصيته مثل (أميتاب باتشان) . "

" چيم كارى يقتل أميتاب بتشان لينال حب كريستين ستوارت ! يالها من دراما .. ماذا عن المحقق الذى سيتعثر فى حل ذلك اللغز ؟ .. شخصيته ستكون مُتكبرة ومغرورة إلى حدٍ ما من مظهرها، ولكن عندما تقتحمها ستكون رائعة وبسيطة ، لا يتسم بالغباء ويعترف بخطئه ، من أفضل من (ليوناردو دي كابريو) ليقوم بهذا الدور ؟ "

بعد أن جمع شخصيات قصته الأساسية بدأ يُفكر فى الحبكة الدرامية .. هانت هذه هى المُشكلة فى كل مرة .. إلى أن وصل أخيراً لحبكة بدائية ستتغير مع الوقت ، يرسم الكاتب آلاف السيناريوهات قبل أن يبدأ بتنفيذها على الأوراق .. وفى أغلب الأحيان يتخلى عن كل السيناريوهات التى قام بتخيلها عندما يُمسك بالقلم ، ليبدأ السيناريو النهائى ..

"سيكون المقتول أستاذاً جامعياً (أميتاب بتشان) تزوج من فتاة فى مُقتبل العمر (كريستين ستيوارت) بعد موت زوجته .. وافقت الفتاة

فقط لظروفها المادية.وغرق أبيها فى الديون ، ولكنـــها فى الأســـاس كانت تحب فتى فى مثل عمرها ، الصراع الدائم بين المال والحـــب ، ذلك الفتى سيكون (جيم كارى) يدرس فى نفس الجامعة التى يُدرّس فيها ذلك الأستاذ .. تنقطع علاقتها به لسنة ولكنها لم تنسه أو ينسها يوماً، وفى ظهر يومٍ دراسى سيكون مُلقىً على أرضية مكتبه مقتــولاً بطعنتين فى قلبه .. يُستدعى المُحقق (ليوناردو دي كـــابريو) ويبـــدأ البحث عن الأدلة التى مُحيت تماماً .. وسلاح الجريمة الذى اختفى ، ويكتشف أن كل الخيوط بعيدة عنه، فيستدعى (آرثر هولمز) ليتـــولى التحقيق ".

"حبكة عادية ولكن مع الأحداث ورسم الشخصيات ستكون مُثيرة "

يعترف (وليام) بحقيقة أن حبكة القصص البوليسية من غير قاتـــل ستكون مثل فيلم قديم بالٍ يعرف المُشاهد نهايته من أولى المشاهد .. (أستاذ جامعى يتزوج من فتاة كان يحبها فتى قبله) مع إضافة عنصـــر القتل والأدلة والعديد من المُتهمين تتشكلُ القصة البوليسية .

يُمسك (وليام) بقلمه الأسود وينثر الأوراق أمامه وتبـــدأ فرقـــة البـــونى إم بعـــزف (Baby Do You Wanna Bump) ويبدأ معها بالكتابة .

(10)

رافق (هشام) (أحمد) إلى منزله بعد أن غادرا شقة (سُهاد) واشتريا أثناء الطريق بعض اللوازم المنزلية من الطعام والشراب وعلب السجائر وأكياس البُن والشاى .. وبعد أن اطمأن (هشام) على حالته، تركه ليلحق بدوام عمله الذى يبدأ فى تمام الرابعة عصراً ..

يعمل (هشام) " كاشير " فى أحد فروع أسواق (فتح الله) بينما (أحمد) لا يحتاج لعمل تقريباً ، فقد ترك له والده قبل أن يرحل شقتين فى أحد الأحياء الجديدة بالإسكندرية .. كانا يعودان عليه بمبلغ مإلى (إيجار) يكفيه كل شهر ويفيض أحياناً .. كما أن والدته قبل أن ترحل مُنذ 3 أعوام إثر أزمة قلبية تركت له وديعة بالبنك بمبلغ قدره مائة ألف جنيه ، كان يستقبل فوائدها كل شهر .. ومع ذلك كان بين الحين والآخر يلتحق بإحدى المهن البسيطة الهادئة ليقتل حدة الفراغ والوحدة التى يعيش فيها .

كان منبوذاً إلى حدٍ ما .. ربما بسبب تجاعيد وجهه وشعره الثلجى، مما جعله غير قادر على تكوين صداقات أيام الكلية ولا بعدها،

وساهم شكله فى جعله عُرضة للاستهزاء من بنى قوم (السـخافة) .. ساهمت الحادثة والاستهزاء بتشكيل شخصية عدوانية ، استطاع بناء جدار حول نفسه لم يقتحمه أحد ، تقلب مزاجه من وقتها و لم يعـد كما كان .

لم يحكِ لأحد عن تلك الحادثة التى قلبت حياته رأساً على عقـب.. بالطبع عدا (هشام) الذى ظل كظِلٍ له مُنذ الطفولة وإلى اليوم .

تمدد على سريره مُحدقاً بالسقف ثم نقل ناظريـه إلى المُجسـم الصغير للبومة الثلجية المصنوع من الخشب ومطلى باللون الأبـيض ، الذى تركه والدهْ قبل أن يرحل وهو فى عُمر السابعة ..

كان ذلك المُجسم هو الولادة الحقيقة لـ (ثلج) الذى ظل يرفـرف بجناحيه من وقت لآخر وهو يحوم فى زوايا الغرفة أمام (أحمد).

كان والده من هواة جمع التحف ولكنه تخلص منها جميعاً قبل وفاتـه بعامين لسبب لم يعرفه أحد وأبقى على مُجسم البومة الثلجية !
حاولت والدته قبل وفاتها التخلص من ذلك المُجسم عـدة مـرات لاعتقادها أن البومة هى نذير شؤم ! .. ولكنها ببساطة كانت تنسى فور أن تقرر ذلك !

أشعل (أحمد) سيجارة (إل أم أزرق) بينما هو مُمدد على السرير ودخانها يطير بهدوء إلى السقف مُتحدياً الجاذبية ، رقبته مازالت تؤلمه إلى حدٍ ما، مما جعله يكتفى بتفحص سقف الغرفة .. ظل على هذا الوضع حتى الرابعة عصراً، مل جسده هذهٔ الوضعية ولكنـــه كـــان يُجبره على البقاء .. ألقى بالسيجارة على أرضية الغرفة الخالية مـــن السجاد .. وغط فى نوم عميق من المُحتمل أن يمتد لساعات طويلة .

(11)

لم تكن كتابة القصة صعبة على (وليام دويل) ، كانـــت الصـــعوبة الحقيقية بالنسبة له هى الكتابة على لوحة المفاتيح بحاســبه المحمــول (اللاب توب) ، كان يكره الكتابة على تلك الآلة، كان يُفضل أقلام (باركر) السوداء .. والأوراق المُبعثرة أمامه على المكتب .. عنــدما يكتب عبارة (THE END) فى نهاية القصة كان يتبعها بتنهيــدة تُخرج إرهاق العمل ويتجدد نشاط جسده بالكامل ، لم تكن الكتابة عبئاً عليه على أى حال .

كان يتأثر بالقصة وبأبطالها .. يجتاحه الحماس أثناء الكِتابة، يخفق قلبه مع اقتراب النهاية وتدفق الأحداث، وأحيانــاً كــان يصــرخ كالأطفال أو يشد شعره كالمجانين .

استغرقت منه القصة بأكملها يومًا كاملاً 24 ساعة متواصلة من الرابعة عصراً وحتى الرابعة عصر اليوم التالى ، بالكاد توقــف عــدة مرات ليتناول طعاماً خفيفاً أو يشرب الماء,أو يريح عينيه وأصابع يده اليُمنى التى بدأت علامات الانتفاخ تظهر عليها .. امــتلأت الغرفــة بدخان الــ (مارلبورو) خلال الأربع وعشرين ساعة .

توقف عند السؤال الذى طالما وقف عنده كُلما انتهى من كتابــة

قصة جديدة لآرثر هولمز « ما هو اسم القصة ؟ »

ذلك السؤال ربما هو السؤال الأصعب لأى كاتب !

راجع أحداث الرواية مرة تلو الأخرى يبحث عن جُملة مُميزة تصلح لتكون عنوانًا، أو الرابط بين الأحداث .. لم يجد بالنهاية ما يصلح ليكون عنوان !

فكر فى (دينا) ، فى طريقة تدخينها لسجائره وأحمر الشفاه الذى ترك أثراً على فلتر السيجارة وفنجان الإسبريسو .. فى عينيها اللتين ترحلان به بعيداً كُلما أطال النظر !

بحث عن هاتفه وسط كومة الأوراق المُبعثرة فى أرجاء الغُرفة حتى عثر عليه، كانت بطاريته قد رفعت الرايات البيضاء أمام الأربع وعشرين ساعة المُنقضية وفرغت تماماً .. فأوصله بالشاحن وترك الهاتف يلتهم الكهرباء من خلال سلك الشاحن، وحدق بشاشته السوداء حتى ظهرت على شاشته العلامة التجارية الخاصة بشركة (آبل) " تفاحة مقضومة من الجانب الأيمن " .. تذكر أنه قرأ مقالاً يتحدث عن ذلك الشعار وأن المقصود بها فقط هو إظهار الفرق بين التفاحة والكرز، وتذكر مقالاً آخر ذُكر فيه أن ستيف جوبز قال : «جمال كل شيء ليس في الاكتمال، كذلك هي الحياة لو أنها اكتملت لنا لما شعرنا بأي انجذاب لها » وربط الصحفيين ذلك القول بشعار الشركة.

ثوان وفُتح الهاتف وبحث عن رقم (دينا) وقام بالاتصال بها وألصق الهاتف بأذنه اليُمنى ، عندما أرسلت سماعات هاتفه الـ (آيفون إس 5) أولى الرنات التي تُعلن استقبال الطرف الآخر إخطارًا بالمُكالمة ضربت صاعقة الخجل جسده !

تردد قليلاً قبل أن يضغط زر إنهاء المُكالمة قبل أن تبدأ فعلياً ! .. أمسك الهاتف بين أصابعه وبدأ برسم محادثة خيالية بينهما ..

أن تكون كاتباً يعني أن ترسم سيناريوهات لكل شيء ، ولكن عند التنفيذ " إمساك القلم " تنسى كل شيء !

وجد هاتفه يُضيء برقمها واسمها .. اهتز قليلاً وراجع سيناريو المُحادثة بعقله قبل أن يضغط زر استقبال المُكالمة : «وليام ، مرحباً»

لم يُجب .. ربما أراد الاستماع لصوتها أكثر من ذلك ..

« وليام .. أين ذهبت ؟ »

تلعثم قليلاً وأجاب : « دينا ! »
ضحكت وأكملت : « كُنت تتصل بي قبل دقيقة .. »
أجل .. أعلم ذلك !
حسناً .. ماذا كُنت تريد ؟

في الحقيقة كُنت أريد استشارتك في شيء .

ما هو ؟

قص عليها القصة التي كتبها باختصار وطلب منها اقتراح بعض الأسماء للقصة .. فكرت قليلاً ثم أجابت : « أممم .. في الحقيقة اختيار الأسماء ليس من مهاراتي .. القصة تحتوي على جانب من المشاعر ، وجانب من القتل الوحشي !

أعتقد أن هذا يُعقد الموقف !

(12)

فتح أحمد عيناه ببطء .. وكأن الزمن توقف لثوان حتى يستفيق !
نعيق (ثلج) يملأ الغُرفة .. ولكنه لا يُزعجه .. شعر بثقل جسده ،
فرك عينيه بيده اليُسرى فإذا بمادة لزجة حمراء تلتصق بوجهه !

فُتحت عيناه على مصراعيهما .. مادة زلقة حمراء تملأ أصابعه !

دم !!!

يده اليُمنى تُمسك بسكين صغير مغموسة فى الدماء ! .. أصابعه تقبض على سكين مطبخ صغيرة ذات مقبض خشبى مُلطخة بالدماء الباردة المُتجلدة .. ينتفض جسده ويُلقى بالسكين على الأرض .: قميصه الأبيض مُلطخ بالدماء ، عقارب الساعة تُشير للرابعة عصراً ! إنه الوقت نفسه الذى نام فيه الليلة الماضية .. نزع قميصه وألقى به بجوار السكين على أرضية الغرفة السيراميكية وركض للحمام ..
انتابته حالة من الهيستريا عندما رأى قطرات الدم المُنتشرة بوجهه أمام المرآة ، بعض الخصلات البيضاء يتخللها اللون الأحمر الداكن ..

حاول تهدئة نفسه ، ظن للحظة أنه طعن نفسه، بحث فى جسده بالكامل عن طعنة أو جرح و لم يجد ! ..

« هل قتلت ؟ »

يسأل نفسه ! ولا تُجيبه نفسه !

نظر لوجهه مُجدداً بالمرآة .. صفع نفسه مئات المرات حتى تأكد أنه على أرض الواقع ! .. تذكر ذلك الكلب الذى ضربه حتى لقى مصرعه .. تذكر أنه فجأة وجد نفسه أمام الكلب يُمسك بعصا كبيرة من الخشب وأمامه كلب ميت !

عاد لغرفته .. تفحص قميصه الأبيض المغموس بالدم البارد الجاف!.. تفحص السكين ، سكين مطبخ عادية يُمكن امتلاكها بسهولة .. (ثلج) يزيد من نعيقه العشوائى ، يطير فى أنحاء الغُرفة .. وفمه يُسقط قطرات من الدماء ..

يستقر على أكتاف (أحمد) يهمس بصوته الناعقولغته التى لا يفهمها سواهما : « الدماء هى ما تسرى بداخل جسدينا .. أنت لا تراها يومياً ، ولكنها تحفظ كل شبر فى جسدك .. تعرف طريقها جيداً ، تحفظ انحناءات جسدك ، ولكن عندما تراها خارج جسدك تُصاب بالفزع ! »

يسقط (أحمد) على الأرض أمام القميص والسكين .. عيناه لا تنغلقان ولو للحظة .. قلبه لا يتوقف عن ضخ الدماء فى جسده

بسرعة جنونية .

يهبط ثلج على القميص والسكين ويبدأ بلعـــق الـــدماء بلســـانه القصير..

ينهض (أحمد) من جلسته بعد نصف ساعة .. كانت ضـــربات قلبه قد انتظمت إلى حدٍ ما .. وأطرافه قـــد هـــدأت مـــن ســـباق الارتجاف ، بينما عقله لا يبث صوراً تدل على براءته أو إدانته !

أسند يديه على حوض الحمام أمام المرآة يتأمل عينيه اللتين تجمـــد البريق بداخلهما .. يقولون : " عند القتل يتجمد البريـــق بـــداخل العين.. لتتحول بعدها لعيون باردة لا تبث ما يـــدور بـــداخل روح صاحبها . "

عاد للغرفة بعد أن غسل وجهه و يديه عـــدة مـــرات، وبـــدّل ملابسه.. أمسك بقميصه والسكين الملطخين بالدم البارد المُتجمـــد ، ونزع بنطاله و أغرقهم بمياه البانيو و جعل الماء البارد يتخللهم لبعض الوقت .. فحص باب شقته وحذاءه (النايك) الأزرق .. كل شـــيء كما كان قبل أن ينام !

ارتدي ملابس مناسبة للخروج ونسي تغطية رأسه بقبعة شـــتوية (آيس كاب) وخرج من منزله قاصداً أقرب بائع جرائـــد ، اشـــترى أربع جرائد مُختلفة، ظل بائع الجرائد مُحدقًا في شعره الثلجي و لكنه لم يهتم .. عاد لمنزله وأغلق الباب بإحكام و بدأ يتصـــفح الجرائـــد،

تاريخ الجريدة يوضح أنه ظل نائماً لأربعة وعشرين ساعة متواصلة .. ولكنه لم يجد أخباراً عن قتل شخص بسكين !

ظل حبيس منزله ذلك اليوم ، لم يأكل و لم يُجب على مُكالمات (هشام) الهاتفية، وشرب بالكاد من الماء ما يروي ظمأه .

لم يغافله النوم حتى الصباح التالي .. عندما تستيقظ ذات مرة لتجد نفسك قاتلاً ربما يهرب منك النوم للأبد كما يهرب الدم و يتنقل بين العروق .

قفز في ملابسه واشترى أربع جرائد أخرى بتاريخ اليوم، وبدأ رحلة البحث عن جريمة قتل بسكين كالأمس .. كانت الأخبار كلها تصطف فوق بعضها في الجريدة كأخبار الأمس وكأن الجريدة تنشر مجدداً بصيغة أخبار مختلفة.

الرئيس يتوعد بالقضاء على الإرهاب الماكث في سيناء .

الزمالك يتصدر الدوري المصري بعد غياب سنوات .

فتوى جديدة قيد النقاش عن قيادة المرأة للسيارة بالسعودية .

كانت الأخبار على هذا المنوال ..

حتى وقعت عيناه على خبر كان في أواخر الجريدة ..

« مقتل أستاذٍ جامعي داخل مكتبه بالحرم الجامعي . »

قرأ الخبر بسرعة ولكنه عاد ليقرأه بتمعن بعد السطر الخامس

بقلم : إسماعيل عوض .   نشر في : 2014/11/22

« في الأمس وُجد الأستاذ : أشرف مصطفى ، مقتولاً في مكتبه بالحرم الجامعي بجامعة عين شمس .. حيث اكتشف الأستاذ : إبراهيم محمود الذي يدرس بنفس الجامعة جثته مُلقاه على أرضية المكتب ملطخة بالدماء، وأسرعت فرقة من المباحث الجنائية و استدعت فريق الطب الشرعي لفحص الجثة.

وقد تبين بعد فحص الجثة الآتي : تحديد وقت الوفاة ما بين الرابعة عصرًا إلى الرابعة والنصف، وتم تحديد سبب الوفاة إثر طعنتين بسكين مطبخ من خلال فحص طول عمق الجرح في منطقة القلب.. و مازالت التحقيقات جارية لكشف باقي ملابسات الجريمة ».

قرأ أحمد الخبر مرات و مرات .. و نظر للصورة المُلحقة بالخبر كُتب أسفلها بخط صغير (الأستاذ أشرف مصطفي)

رجل في الخمسين من عمره ، ذو أنف مُفلطح يتحمل ثقل نظارته ذات العدسات الكبيرة ، رأسه قد أصابها الصلع .. وذقنه منثورة بالشعر النابت حديث العهد .. صارم الملامح ربما لو رأيته في الشارع مصادفةً لعلمت من النظرة الأولى أنه يمتهن التدريس في الجامعات .

« جامعة عين شمس ؟ » قالها أحمد في نفسه ..

الجامعة في القاهرة تبعد عن منزله بساعات سفر طويلة، كما أنه في الرابعة تماماً !

من المستحيل أن يكون هو القاتل، كم فكر في ذلك ولكن صار الدم و السكين ذلك اللغز الذي لم يتوصل لحله ! حتى قاربه الجنون ! أخرج السكين من البانيو و ظل يتأمله .. سكين صغير مناسب للتقطيع، ذو قبضة خشبية قاتمة اللون، أخذه و ذهب للمطبخ يبحث عن شبيهه فلم يجد في مطبخه إلا سكينين واحدًا كبيرًا و آخر صغيرًا ذوّي قوابض بلاستيكية اشتراهما ذات مرة و لكنه لم يستعملهما كثيراً..

سمع رنين هاتفه فألقى بالسكين في المطبخ وتتبع صوت الهاتف إلى غرفته ..

أمسك بالهاتف ليجد رقمًا غريباً يتصل به ..

(13)

فتحت (دينا) باب منزلها لتجد والدتها تجالس امرأة في الأربعين و فتى في العشرينات .. يتبادلون الصمت للحظات قبل أن تنطق دينا بالإنجليزية : « مرحباً » مع ابتسامة و انحناءة بسيطة ، انفجرت أمها في ضحك مع الجالسين و قالت لها : « دينا يا حبيبتي ، تعالي سلمي علي الضيوف » تمتمت تلك المرأة الأربعينية: « ما شاء الله زي القمر!» فقالت دينا شاكرة إياها : « ثانكس ! .. آه قصدي شكراً!»

ضحكت أمها و لكن لفترة أقصر هذه المرة، وقدمت لها الضيوف: « دي خالتك (كوثر) لسه جاية من مصر حالاً .. (كوثر) صاحبتي من واحنا في ثانوي وطبعاً لما جت لندن كان لازم تزورنا »

تمتمت (دينا) : « أهلا وسهلا ! »

ثم أشارت أمها للفتى العشريني : « و دا ابنها يوسف »

كان فتى في الثامنة والعشرين على الأرجح، شعره أسود ناعم قصير و ذقنه تُزين وجهه النحيل، عندما قام من جلسته ليحيي (دينا) اتضح أنه أطول منها بفرق بسيط .. مد يده لتحية دينا و قال بلهجة

إنجليزية متقنة : « أنا سعيد بمقابلتك »

شكرا ..

حسناً .. ما رأيك بالتحدث قليلاً بالشرفة .

......

ليس من المُستحب الجلوس و سط العواجيز .. كما أنـــي قـــد أصبت بالملل من أحاديثهم !

حسنا لا مانع .. ولكن هناك شيء عليك أن تعلمه قبل ذلك.

ماهو ؟

أمي تتقن الإنجليزية كما أنها تتحدث بها بطلاقة ..

احمر وجه (يوسف) ونظر لوالدة (دينا) بخجل، لم تمنـــع (دينـــا) نفسها من الضحك، ضم (يوسف) كفيه و تنحى لوالـــدة (دينـــا) معتذراً : « أنا آسف ! .. مَاكانش قصدي ! »

احنا عواجيز ياعم يوسف! متشكرين.

قالتها والدة (دينا) فيما تابعت (دينا) ضحكها ..

في الشرفة وقف الاثنان يتأملان مساء لندن ويستنشقان هواءهـــا العليل حتى أفسدته ((دينا) بإشعالها ســـيجارة (مـــالبورو) فقـــاطع

(يوسف) الصمت بضحكة وقال : « دي أول مرة أشـوف بنـت بتدخن ! »

لم تسمع دينا ما قال جيداً فأعاد ما قاله باللغة الإنجليزية.

بتتكلم إنجليزي ليه ؟

بستعرض ثقافتي .

في مقولة بتقول « ابق حيث يوجد الدخان فالأشرار لا يدخنون» .. عمرك شفت تاجر مخدرات بيدخن ؟.

مع أن المقوله غلط .. بس طباخ السم بيدوقه.

ابتسمت وأردفت : « مقولتك انت اللي غلط علـى فكـرة . مقولتليش .. جي لندن ليه ؟ »

تقدري تقولي سياحه .. ممكن سيجارة ؟

ارتفع حاجبها وسألته : « انت بتدخن ؟ »

لا .. بس مش عايز أتاجر في المخدرات !

ضحكت وناولته سيجارة، أشعلها بقداحتها الزيبو وسـحب أول الأنفاس بصدره و بدأ يسعل .. ضحكت (دينا) فقال : « شكل دور تاجر المخدرات لايق عليا أكتر »

و استمرا في الضحك ..

(14)

جاء صوت (سُهاد) من الجهة المقابلة للهاتف لم يُحب أحمد لثوان ..
ثم قام بالرد وهو حذر لكل كلمة يقولها : « مين ؟ »
أنا سهاد ، يارب تكون فاكرني !
استجمع ذاكرته المهشمة منذ يومين .. حتى مر وجهها برأسه :
«آه .. عاملة ايه ؟ »
أنا كويسة، المهم انت ؟ .. بقيت أحسن دلوقتي ؟
أهو بحال أفضل أم أسوأ ؟! .. الإجابة بين الاثنين ولكن مؤشر لسانه يميل للإجابة الأولى : « كويس الحمد لله ! »
طيب الحمد لله !
جبتي رقمي منين ؟
ترددت قليلاً و لكنها أجابت : « سجلته يوميها علشان أطمن عليك بعدين .. انتا متدايق علشان أنا أخدت رقمك ؟ »
لا .. طبعا مفيش مشاكل !
طيب يا سيدي فضي نفسك الساعة 8
قال بتعجب : « ليه ؟ »
مسرحيتي هتتعرض النهارده و لازم تحضر ..

انتِ بتمثلي !

اه .. يعني على قدي .. المهم هاتيجي ؟

تردد قليلا ثم أجاب بالموافقة، والتقط ورقة صغيرة و قلمًـــا ودوّن عنوان المسرح .

في تمام الثامنة كان وسط المتفرجين على العرض يرتـــدي الآيـــس كاب الشتوي رغم أن ازدحام الناس كان قادراً على تحويل بـــدايات شهر ديسمبر لصحراء !

لم يتزعه للون شعره الثلجي .. ربما ملامحه كفيلة بإبعـــاد النـــاس عنه..

مسرح صغير به كراسٍ خشبية تناسب عروض الممثلين المغمورين.. الصف ما قبل الأخير كان يناسبه .. دقائق وأظلم المســـرح وفـــتح الستار، تذكر أنه لا يذكر اسم العرض و ربما ظن للحظه أنه بالعرض الخطأ.. فسأل الجالس جواره عن اسم العرض فأجابـــه : « عـــذراء الصعيد »

أومأ برأسه ووجهها ناحية خشبة المسرح ..

استعراض قصير بدأ به الممثلون على إيقاع صعيدي مـــع أغنيـــة تنتمي ألحانها لسلم الصَبا الموسيقي .. أما كلمات الاستعراض فكانت صعبه الفهم، تظل لهجة الصعيد لغزاً يصعب عليه فهمه ..

الممثلون يتراقصونَ بالجلابيب و الألوان الداكنة.. عدا فتاة تنتصف

الأربعة ممثلين ترتدي زياً أحمر فاقع اللون ومنديلاً يلف رأسها الصغير..

صفق المشاهدون بعد انتهاء الاستعراض وقالت الفتاة ذات الزي الأحمر : « وبعدين يابوي ! » .. فرد عليها الممثل المقابل : « يابنيتي لازمن تتجوزي حمدان لجل الفضيحة »

وجهت نظرها للمشاهدين وقالت : « صعب .. صعب يابوي !» ثم تولي الحديث مجرى آخر وتعمقت اللغة أكثر حتى ظن أحمد أن المسرحية مكتوبة بإحدى شفرات الحرب العالمية الثانية .. وعندما انتهى المشهد بصراخ الفتاة ذات الزي الأحمر (سهاد) وسقوطها على المسرح بعد أن ضربها الممثل المقابل (والدها) بكفه .. أظلم المسرح وانقطعت الموسيقا فجأة ! إلا من بعض الأضواء الصادرة من هواتف الجالسين بالصف الأول.

تكاثرت التمتمات بين المشاهدين .. ثم ظهر فتى في الثلاثين تقريباً على خشبة المسرح وقال : « معلش يا جماعة النور قطع .. هنحاول نكمل العرض من غير موسيقا و أضواء .. إحنا آسفين جدًا يا جماعة لكن مش ذنبنا ! »

دقائق واستأنف العرض مجدداً .. وانسحب معظم المتفرجين .. لم يفهم أحمد كلمة من العرض و مع ذلك تابعه .. كان يشعر بالملل القاتل و لم يعلم ما الذي يجبره على إكمال هذا العرض .

عند الاقتراب من نهاية العرض كان المشاهدون قد تقلصوا لعشرين مشاهدًا على الأكثر متناثرين على الكراسي الخشبية .. حينها شعر أحمد ببرودة الطقس و احتياجه لبعض النيكوتين .

في المشهد الأخير من المسرحية طعن والد تلك الفتاة ابنته بسكين في قلبها !

تذكر أحمد السكين ذات الدماء الباردة التي وجدها .. تذكر وجه الأستاذ المقتول بجامعة عين شمس .

شعر أن الطعنة على خشبة المسرح تقتحم صدره وكأنها طعنة حقيقية .. صفق المشاهدون بحرارة ولكن التصفيق لم يكن حادًا لقلة عددهم .

أغلق الستار يدويًا ! .. ثم فتح مجددًا و لم تتوقف الجماهير لحظة عن التصفيق .. لم يستطع أحمد أن يجزم أنهم جميعًا فهموا مجريات القصة و لكنه صفق معهم .

عندما ظهرت (سهاد) على خشبة المسرح لتحيي الجماهير أضيئت الأنوار مجددًا فرأت أحمد يجلس بالمقاعد الأخيرة .. لوحت له بيدها فاستقبل تحيتها بمثلها و ابتسامة صغيرة على شفتيه .

(15)

أنهى (وليام) كتابة قصته الجديدة (الجانب الآخر) على اللاب توب الخاص به، استترف منه ذلك علبتين من المرلبـورو وزجاجـة بينـا كولادا وزجاجتين من الصودا الباردة (كوكـاكولا) .. و خمـس ساعات متواصلة من الكتابة .

تنهد براحة للحظات وراجع ملف القصة عدة مـرات وأضـاف بعض النقاط و علامات الاستفهام أو تغيير جزئي في جملة أو استبدال بعض الكلمات ثم ضغط (save) وأغلق ملف القصـة، أمسـك برأسه من فرط الصداع وارتمى على سريره لدقائق مغمضاً عينيـه في نشوة !

رتب الأوراق البيضاء في مطبعته الصغيرة (HP) و وضعها بداخل المطبعة ، أشعل سيجارة و راقب أوراق قصته و هي تخرج للنور .. أمسك بالأوراق المطبوعة بحرص وكأنه يُمسك بمولـودٍ جديـد .. اتصل بدينا التي أجابته بسرعة فقال لها وكأنه في سـباق : « هـل أستطيع أن أراكِ اليوم ؟ »

نعم تستطيع ! .. و لكن لماذا ؟ ، لدي بعض الـــ ..
قاطعها قائلاً : « لن يستغرق ذلك خمس دقائق ! »

قابلها بعدها بساعة وسلمها أوراق القصة .. وعندما عـــادت إلى منزلها بدأت تقرأ في هدوء وتركيز ..

(16)

مر أسبوع منذ ذلك العرض المسرحي التابع لـ (سُهاد)، التقى أحمد بها مراتٍ عديدة بعد العرض .. كان إما أن يتبادلا الحديث في مقهي (البن البرازيلي) أو إحدي مقاهي محطة الرمل، كان يرى في أحلامه بشكلٍ يومي وجه ذلك الأستاذ الجامعي المقتول ، الحلم نفسه يتكرر بشكلٍ دائم .

(يرى ذلك الأستاذ الجامعي يجلس في أركان إحدى الغرف .. ويرى نفسه يحمل سكين مطبخ ذا مقبض خشبي ويتحرك قبالته، ينزف الأستاذ الدم بلا طعن وتتشكل السكين دماء جاءت من اللاشيء ! و ثلج يطير حوله و ينعق بصوته الحيواني المذعور.. يستيقظ بعدها على صراخه ونعيق ثلج المتواصل).

حكت له (سُهاد) كل شيء عنها تقريباً أثناء لقائهما المتكرر، كانت تتحدث بلا انقطاع حتى تصمت فجأة فيبدأ هو حديثه القصير المختصر فتبدأ هي من جانبها الحديث مرة أخرى ..

حكت له عن والدها التي توفيت بعد ولادها مباشـــرة و اعتنـــاء أختها مريم بها منذ الصغر وعن والدها الذي اختفى فجأة و هي بعمر الثالثة عشرة و لم يعلم أحد سبب الاختفاء ، بالطبع لم يحدثها عن ثلج ولا عن نصف ظله المفقود؛ ربما تشاركا في بعض الأحداث (اختفى والدها واختفى نصف ظله) هل يتساوى نصف ظله بوالدها؟

كانا يحتسيان القهوة الساخنة ذلك اليوم في البن البرازيلي بينمـــا كان المقهى يعج بالضجيج بسبب تلك المباراة بين فريقين لم تعـــرف (سُهاد) اسميهما ..

قالت مقاطعة الصمت : « أنا باكره الكورة! »

ابتسم (أحمد) في مرارة فأكملت : « لعبـــة ســـخيفة ! اتـــنين و عشرين لعيب بيجروا ورا كـــوره.. مـــش فاهمـــة ايـــه المميـــز في الموضوع؟»

ارتشفت بعض قطرات من القهوة فترك أحمر الشـــفاه الكريمـــي باللون الوردي أثراً على الفنجان و قالت محاولة تفادي خطأ توقعت أنها وقعت فيه : « إوعى تكون بتحب الكورة !؟ »

ابتسم وهز رأسه بالنفي فتنهدت وقالت : « الحمد لله ! »

وعاد الصمت مجدداً قبل أن تقطعه من جديد : « ممكن سؤال ؟ »

أومأ برأسه فسألت: «هو انت ليه على طول لابس (الآيس كاب)؟»

شعري خشن .

ضحكت : « مش قصدي .. أقصد ليه ماتصبغش شعرك بالاسود مثلاً .. بعدين الشعر الأبيض مش عيب ! »

أنا عندي 23 سنة يا سُهاد .. مش عيب ايه بس !؟

ما اقصدش ! .. أقصد إنك لسه صغير .. حساك كدا قافل على نفسك .. مش سايب لنفسك البراح انك تعيش سنك .. فاهمني ؟

أومأ برأسه و أشعل سيجارة بينما تكمل حديثها : « يعني اخرج .. اشتغل .. دور على عروسة .. »

انتابها السعال من دخان السيجارة و نفضت الدخان أمام وجهها بيدها وقالت والدخان يملأ قصبتها الهوائية : « بطّل سجاير مثلاً »

ضحكا و أكملا احتساء القهوة بهدوء ..

أحس باحتكاك كرسيه بكرسي آخر .. التفت ليجد رجلاً في الخمسين تقريباً يجلس خلفه، فتحت عيناه على مصراعيهما لرؤية الرجل .. كان هو ذلك الأستاذ الجامعي المقتول !

ابتسم له الرجل وقال معتذراً : « لامؤاخذة يابني ! »

لم يجب (أحمد)، ظل محدقاً فيه حتى هبط ثلج على كتف الرجل .. أخرج قصاصة الخبر من جيب سترته السوداء و نظر للصورة جيداً ، ثم أعاد النظر للرجل الذي قد أشاح بوجهه عنه ..

مالك؟ فيه إيه ؟

لم يجب وكأنه قد نقل لتوه لجانب آخر من هذا العالم ، جانـــب مظلم لا ترى به أصابع يدك، وعلى الجانب الآخر قد تعمي الأضواء عينيك!

أحمد !

قال ثلج بصوته الحيواني الرتيب : « الفردوس لا يجمـــع القاتـــل والمقتول .. لم يذهب للفردوس بعد، مازال بالدنيا .. كما لم يحـــن وقت رحيلك بعد »

أمسكت (سُهاد) بيده فانتبه لوجودها بجواره، استطاعت ســـحبه من ذلك الجانب المظلم للجانب المضيء .

مالك؟ فيه إيه !؟

لم يجب فأكملت : « طب يلا بينا نتمشى شوية »

وسحبته من يده وأثناء رحيله ألقى نظرة على ذلك الرجـــل .. لم يكن هو ذلك الأستاذ الجامعي كان شخصاً بديناً، أسمـــر البشـــرة، كثيف الشعر الأسودِ المجعد .. ملامحه عكس ذلك الأستاذ المقتول .

(17)

استيقظت في صباح اليوم على مكالمة (يوسف) الهاتفية يدعوها للقاء في مقهى (متحف توت) الذي اعتادت هي و (وليام) الذهاب إليـــه عادةً .. كانت علاقتهما قد اتخذت مُنحنى الصداقة بقوة وبســـرعة، فخلال أسبوع واحد التقيا عدة مرات ولأوقات كبيرة .. فوجـــدت أن الفرصة قد تكون مناسبة ليتعرف (وليام) على (يوسف)، خاصـــةً أنها أعارت يوسف إحدى قصص (وليام) ليقرأها ..

كان المقهى خالياً من رواده في هذا الصباح نصف المشمس إلا من بعض الطلاب الجامعيين المتراصين حول طاولة دائرية بنهاية المقهـــى يعلو صوتهم بالضحك حيناً و يختفي حيناً، و فتاة تجلس بعيدة عنهم تقرأ كتاباً (لباولو كويلو) بعنوان (فيرونيكا تقرر أن تموت) مما جعل الثلاثة ينتقون طاولة في موقع متميز في المقهى .. ما إن جلس الثلاثة حتى قال (يوسف) بلهجة مرحة : « أنا سعيد بلقائك أيها الأديب »
ابتسم (وليام) و رد : « و أنا سعيدٌ أيضاً »
لقد قرأت لك قصة من سلسلة (آرثر هولمز)، إنها السادسة على مـــا أعتقد .. كانت بعنوان القفل الفضي ..

أتمنى أن تكون قد نالت إعجابك.

حك يوسف ذقنه وقال : « في الحقيقة لم تعجبني كثيراً »

انتبهت (دينا) لحديثهما فأكمل : « كان الدافع للقتل غير منطقي.. من ذا الذي يقتل لأجل إنقاذ فتاة ؟ »

لقد كان السؤال المطروح في تلك القصة واضحاً .. ماذا لو خيرت بين فقدان شخص تحبه أو أن تكون قاتلاً !؟

لم تكن بالواقعية التي كنت أنتظرها .. الواقع يختلف كثيرًا عن الروايات .. لا يوجد شخص في الوقع يختار أن يكون قاتلاً كي لا يفقد شخصاً عزيزاً !

أشعل وليام سيجارة (مورلوبورو) وقال بلهجة هادئة : « لن أبالغ في قول ذلك، و لكنك فقدت شخصاً عزيزاً ذات يوم .. »

أطبق الصمت على يوسف لثوان بعدها قال ضاحكاً : « أتمتهن الطب النفسي أو ما شابه ؟ »

لا ، و لكني ربما أميز الأشخاص أمثالك .. العيون قادرة على كشف الأسرار.

جاء نادل المقهى؛ شخصٌ مختلف عن ذلك الشخص كثير التعجب، فطلبت (دينا) (الاسبريسو) بينما طلب (وليام) عصير (البينا كولادا) و (يوسف) القهوة .. دوّن النادل الطلبات و انصرف.

« على أي حال » قالها وليام واضعاً قدماً فوق الأخرى و أكمل :

« لم أتعرف عليك بالشكل الكافي بعد »

كان ذلك من أحد عيوب (وليام) .. كانت لديه القـدرة علـى طرح أسئلة تجعل المستمع إليه يشعر بتكبره، كما أن حركات جسده لا إراديا تشعرك بذلك !

سحب نفساً من سيجارته و أكمل : « احكِ لي عنك »

ضحك يوسف وقال في استهزاء : « يبدو أنك تتمتع بثقة عالية في النفس .. سأحكي ولكنَ أرجوك لا تحلل شخصيتي ! »

يمكنك أن تحكي كيفما تشاء .. ليست عندي القدرة على التحليـل على أي حال .

حسناً ! .. اسمي هو يوسف .. أعمل في هندسة الـديكور منـذ ثلاث سنوات لدى إحدى الشركات الأجنبية، ومـاذا أيضـاً !؟ ..

أمم.. هواياتي هي الرسم و القراءة ..

هذا جيد .. لمن تقرأ ؟

بعض الكُتاب المصريين، بالإضافة لبعض الروايات المترجمة لـ (باولو كويلو) و (ألبرتو مورافيا) .

هذا جيد و لكنه لا يكفي ..

جاء النادل و وضع أمامهم الطلبات وانصرف في هدوء .. أضافت (دينا) بعض القشدة على الإسبريسو وقالت : « بدأت أشعر وكأني حبيسة صالون ثقافي، ألا يكفي ذلك ؟ »

قال يوسف لدينا : « هو فاهم عربي ؟ »

لأ..

صاحبك ده غتت أوي !

تناقلت عيون وليام بين الاثنين فضحك و قال بالإنجليزية : « الآن أحتاج لمترجم ».

ضحكت دينا و ابتسم يوسف بسخافة .

دينا.. بما إنه مش فاهم أنا باقول إيه ، أنا ماعرفكيش من فترة كبيرة .. بس أنا بدأت أحبك !

هبط الصمت على دينا واحمرّ وجهها بينما يتابعها وليام عاقداً حاجبيه .. و ارتشف بعضاً من البينا كولادا الباردة، فقال يوسف قبل أن يسأل : « كنت أسألها عن طريق الحمام، فهل تعرف طريقه؟».

(18)

كان الشارع مظلماً إلا من بعض الإنارة على جانبي الشارع تتسلل بهدوء لتلقي بنصف ظله على الأرض أمامه .. واضعاً يديه في جيبه من البرد يشعل السيجارة من حين لآخر، كان قد اقترب من بيته واقتربت الساعة من الثانية صباحاً، تذكر وجه ذلك الأستاذ الجامعي، تذكر الدم البارد المتجمد على يديه .. تنهد وتابع نصف ظله الملقى على الأرض ، بدا مشيه أبطأ من اللازم وكأنه ممثل في أحد الأفلام الصامتة ، ثابت لا يتحرك، يحتاج لشاشة سوداء ليظهر عليها ما يترجم ما هو به .

سهاد .. هل ترى نصف ظله أم تراه كاملاً؟

ماذا لو سألته ذات مرة عن هدفه .. ؟

لن يكون من المنطقي أن يجيبها بأن هدفه هو إيجاد نصف ظله الهارب منه ..

الشارع ليس بالطويل أو القصير .. شارع مستقيم بلا منحنيات ، على جانبيه أعمدة الإنارة ضعيفة الضوء والشوارع الجانبية الضيقة، ظهر نصف ظل آخر وراءه .. تشبث بالأرض بينما ثلج ينعق على جانبيه !

اقترب نصف الظل الآخر حتى تجاوزه .. وظهر رجل طويل أبيض الشعر يبدو في الخمسين على الأقل ليس بالنحيف أو السمين، يرتدي سترة شتوية باللون الأخضر الداكن .. نظر له الرجل وأشار لـــه أن يتبعه بلا كلمات، فقط إشارة من يديه !

لم يستطع أحمد الحراك لثوان و هو يتابع الرجل ذا السترة الخضراء الداكنة و نصف الظل وهو يتخذ أحد الشوارع الجانبية، نعق ثلــج وتمتم بلغته الحيوانية الغريبة : « ذاك هو السبيل .. عليــك أن تتبــع السبيل ! ».

تحرك أحمد و دلف الشارع الجانبي خلف الرجل ليجـــد الرجـــل واقفاً على آخر الشارع وكأنه في انتظاره، ينظر له بعينيه البـــاردتين الخالية من البريق .. تقدم أحمد حتى صار خلفه مباشرة فأكمل الرجل سيره ودلف في أحد الأزقة الضيقة، ليجد بابًا من الخشب طوله متران على الأرجح ، قد تظن من النظرة الأولى للباب أنه مجرد مخزن قـــديم وبالٍ ..

ق الرجل الباب مرتين وفي الثالثة فتح الباب من تلقاء نفســـه، أشار الرجل لأحمد بالدخول، فتبعه أحمد للداخل .

غرفة كبيرة يضيئها مصباح كهربي ضعيف متدلياً مـــن الســـقف وتلفاز قديم من نوع (LG) يضيء بشاشةٍ رمادية و يصدر شوشرةً تصيب بالصداع، و سرير بكرسيين من الخشب باليين ..

جلس الرجل على أحد الكرسيين وأشار لأحمد بالجلوس على الآخر ..

« أنا ملّيت ! » قالها الرجل و هو يتثاءب، لم يرد أحمد فأكمل : «أنت كمان مليت »

أخرج الرجل علبة سجائر كليوباترا من سترته الخضراء الداكنة وأشعل منها سيجارة بعود ثقاب ماركة (ماكبث) و أكمل : « فعلاً الحياة بالنسبة لنا مملة .. الوحدة – الأحداث الغريبة – الشعر الأبيض – الملامح اللي بتكبر بسرعة ».

يومئ أحمد باندهاش فيكمل الرجل : « أنا زيك بالظبط ، كبرت قبل أواني .. شعري ابيضّ في سن صغير .. نص ظلي اختفي ! »

ضحك الرجل بمرارة وأضاف : « شيء يضحك لما تجري ورا ظلك طول عمرك . »

انت مين !؟

يمد الرجل يده و ينطق باسمه : (أحمد هلال)

ينقبض قلب أحمد و ينعق ثلج ثم يطير و يهبط على كتف الرجل

فيداعبه الرجل بأصابعه ..

مستغرب ليه ؟ .. كنت متوقع هتكون ازاي بعد ثلاثين سـنة ؟ .. عامةً ماتخافش ! .. أنا صورة مستقبلية منك لكن مش انت ..

لم ينطق أحمد بكلمة إضافية فأكمل الرجـل (أحمـد ذو الثالثـة والخمسين من العمر): « عشان توصل لنص ظلك الضائع لازم تقتل نص ظلك الثاني »

ما فهمتش !

لما كنت قاعد مكانك من ثلاثين سنة ما فهمتش برضو .. لكن لازم تفهم ..

« جريمة قتل فى الشرفة »

بقلم : إيملى ستارك .نشر فى : 7 / 1 / 2015

(كثيرٌ منا يعرف " جاك السفاح " ذلك السفاح الذى سبب الرعب فى ضواحى لندن ، وها نحن فى بداية عام 2015 ويعود بجنون آخر لِيُكمل سلسلة الجرائم المُتكررة ..

بالأمس قُتل الأستاذ (جيمس فليبس) فى شرفة منزله القائم فى شارع (فليت) على يد ذلك السفاح المجهول الذى تتابعه الشرطة مُنذ بداية سلسلة الجرائم المُتكررة .

الجدير بالذكر أن ذلك السفاح يتبع نفس الأسلوب فى القتل، وذلك ما جعل المُحققين يتأكدون أنه ذلك السفاح.. وقد أوضح ذلك فحص الجثث ....)

(19)

دلف (يوسف) إلى مترله بجسده ولكنه كان قد ترك قلبه بحوزة (دينا)، أمران يجعلان عقله يكاد ينفجر ، أولاً : كيف يتيقن إن كان يحبها أم لا من خلال هذه الفترة القصيرة التي قضاها معها ؟
ثانياً : ما هو شعورها تجاهه ؟!

شعر ببعض الإرهاق، نظر لساعة الحائط الخشبية : الثامنة والنصف!

التقطْ علبة دواء القلب من فوق المنضدة وابتلع قرصاً منها مع كوب من الماء .. يعاني من ضعف عضلة القلب مُنذ كان صغيراً، جعله أسير الأدوية .. جلس أمام التلفاز فلم يجد ما يستحق المُتابعة .. فكر بالتحدث مع (دينا) عبر الهاتف ولكنه تراجع عن الفكرة ..

« يوسف ! »

كانت تلك والدته ، فالتفت إليها وابتسم فأكملت : « مالك ؟ ، وشك مخطوف ».

جعان !

قالها وابتسم ابتسامة أوسع من سابقتها تحمل ما بين طياتها مرارة

قاتلة، وأكمل : « احتمال أطلب دليفرى ، تاكلي معايا ؟ »

أنا لسه واكلة من شوية .. بالهنا والشفا .

التقط هاتفه وطلب رقم أحد مطاعم الوجبات السريعة ، وطلب البورجر ..

دلف إلى غرفته وظل يدور بها وكأنه يبحث عن شيء لا يعرفه ولكنه قد رحل عنه !

وقف أمام المرآة لدقائق يتفحص لحيته المُشذبة بعناية، تلك الندبة الصغيرة بخده الأيمن يُغطيها شعر ذقنه تُذكره بـ (سعد) .

لم يُخطئ (وليام) عندما قال له إنه فقد شخصاً عزيزاً .. كان ذلك الشخص هو (سعد) : صديق طفولته الذى فقده فى حادث سيارة .. كان يقود (يوسف) سيارته مُنذ خمس سنوات بسرعة جنونية حتى اصطدم بسيارة (نصف نقل)، فُتحت وسادة الأمان على كرسيه كما أنقذه حزام الأمان .. أما صديقه فكان مُجرداً من الاثنين، نُقل بعدها للمُستشفى ولكنه فارق الحياة بعد يومين، لم يُصَب (يوسف) إلا بتلك الندبة على وجهه وجرح بقلبه سيترف الألم إلى آخر العمر .

ماذا كان شعوره وقتها ؟

فلنقل إن الدنيا أسدلت ستائرها السوداء، ولنقل إن الظلام قد استبدل مكانه مع النور !

ندبة صغيرة = جرح كبير !

رن جرس الباب ، ففتح (يوسف) الباب والتقط الأكياس التي بها شطائر البُرجر .

فضم أولى الشطائر ولكنه أحس أن الجوع قد اختفى .. فترك باقي الشطائر ..

لِمَ لا يختفي الألم مثلما يختفي الجوع ؟ .. أليس الاثنان ينتميان لقائمة المشاعر ؟

دقات قلبه لا تنتظم ، أمراض القلب ذات طابع خاص ..

خُلق القلب ليضخ الجسد بالحياة ..

أمراض القلب = عصيان القلب !

عندما لا يريد (نابض الحياة) الحياة !

فضل النوم وذهب لسريره ولكن عقله رفض ذلك .. رن هاتفه أثناء إجبار عقله على النوم برسالة على تطبيق الـ (واتس آب) ففتح تلك الرسالة التي كانت من دينا ، واتسعت عيناه ..

(20)

جلست (سُهاد) أمام هاتفها لدقائق تراقبه .. تنتظر مُكالمة أو ماشابه .. راقبتها أختها (مريم) ثم نادت عليها، جلسا قبالة بعضهما.. فقالت (مريم) بلا مُقدمات: « إيه حكايتك مع الواد ده؟»

احمرّ وجهها وابتسمت فظهرت غمازتها اليتيمة على خدها الأيسر.. وبدأت تعبث فى شعرها، كانت تلك إحدى علامات الخجل لديها.. فتابعت أختها: « أنا عايزة أقولك خلى بالك بس!»

لا لا لا .. متخافيش ، ده غلبانْ وطيب والله !

منظره ميريحش .. مش مرتاحاله .

بصراحة لا منظره ولا تصرفاته .. بس ..

صمتت فجأة فابتسمت أختها وأمسكت بيدها وتابعت: « سُهاد، إحنا لوحدنا فى الدنيا ، لو ماخليناش عنينا فى نص راسنا مش عارفين هيحصلنا ايه ! »

أومأت (سُهاد) برأسها ..

خلى بالك من نفسك .. انتِ حبتيه ؟

أومأت برأسها مُجدداً ولكن بخجل ..

ابتسمت (مريم) وتنهدت وقالت وهى تترك يدها : « أنا هاروح

أحضر الأكل .. »

مريم ..

.....

هو بابا اختفى ليه وإزاى ؟

ابتسمت مريم بمرارة : « أنا بقالى 7 سنين بدور على إجابة . »

رن هاتف (سُهاد) فأمسكت به لتجد رقم (عادل) مُخرج العرض المسرحى ، ضغطت زر استقبال المُكالمة : « ألو ! »

صباح الخير يا فنانة ..

صباح النور يا أستاذ

مش هاطوّل عليكِ ، حنعرض نفس المسرحية الأسبوع الجاي .. لكن فى مُشكلة !

خير ؟!

إبراهيم مش حيكون معانا ، محتاجين حد يقوم بدور (حامد) مكانه .. تعرف بديل ؟

فكرت للحظات فى شخص يصلح لدور والدها فى المسرحية ، شخصٍ يبدو عليه الكِبر، ذي ملامح جادة .. ومن غيره؟

عندى بديل يا أستاذ .. بس محتاج تمرين .

مش مشكلة، أعرضى عليه الموضوع .. وممكن من بكرة نبدأ بروفات.

(21)

طلبت (دينا) من يوسف اللقاء عبر تطبيق (واتس آب) .. والتقيا فى صباح اليوم التالى وجلسا فى أحد المقاهى القريبة ، كان المقهى فارغاً تماماً إلا من بعض الرواد المُتراصين فى زواياه .. موسيقى (أديل) كانت الرائجة هناك، فغذّى صوتها العذب آذان رواد المقهى القليلين.

جلسا على إحدى الطاولات الخشبية وطلبا القهوة ، قاطع يوسف الصمت الذى بدا أثقل من المُعتاد : « قعدنا وطلبنا القهوة ، وزمانها فى السكة .. نتكلم دلوقتى ولا بعد ما القهوة تيجى ؟ .. خلى بالك القهوة ليها ودان ! »

أشعلت دينا سيجارة (مورلبورو) وتجاهلت ما قاله يوسف فأضاف ضاحكاً : « لازم تبطلى سجاير .. منظرى وحش وأنا قاعد كدة. »

ابتسمت دينا وقالت . « يوسف لازم نتكلم جد شوية .. ممكن؟»

.....

فى البداية انـــ...

قاطع كلامهما النادل وهو يضع القهوة أمامهما ، أشار يوسف إلى أذنه اليُمنى بأصابعه وتمتم بصوت يكاد يُســمع : « ليهــا ودان ! »

وأضاف بعد انصراف النادل : « كملى .. »

فركت (دينا) جبينها، والتقطت أنفاسًا من سيجارتها .. جفــون عينيها توحى بأنها لم تنم تقريباً، كما أن (الميكياج) قد بدا أبهت ممــا كان سابقاً ، قالت وعيناها مُثبتتان بعيون يوسف : « انــت كنــت بتتكلم جد امبارح ؟ »

بكل صراحة ومن غير هزار .. آه ..

تنهدت تنهيدة طويلة أفرغت فيها هواء رئتيها ودخان الســيجارة وقالت : « طب انت اتأكدت من مشاعرى ؟ »

أجاب بلا تفكير : « مش حتفرق ! »

إزاى ؟

أنا فجأة لقيت نفسى بحبك ، وبفكر فيكِ على طول .. أعمل ايــه طيب ! .. الموضوع مش بإيدى .

حتى لو أنا محستش بدة ناحيتك ؟

صمت ثقيل هبط عليه من سماء غائمة .. إنه دوره فى الكــلام ،

عليه أولاً أن يستمع للسؤال جيداً، ثم يحلله، ثم ينتقى الإجابة المُناسبة ويراجعها .. ثم : « إيه المُشكلة ؟ »

إجابة السؤال بسؤال هى الحل الوسط دائماً .. يتيح للمُتحـدث فرصة أخرى ليجمع أكبر قدر من المعلومات ..

لم تُجب .. فارتشف بعضاً من القهوة وقرر أن يتخـذ دورهـا بالكلام: « ربنا مخلقش المشاعر بأيدينا .. دى الحاجة الوحيدة اللـى مابنتحكمش فيها ».

لم تُجب .. فأضاف مُبتسماً : « حنتجوز إمتى ؟ »

ضحكت ضحكة بلا معنى ، بينما يتقلب مزاج يوسف كل ثانية، قالت أخيراً : « يوسف، أنت لازم تعرف حاجة أنا مخبياها عن الناس كلها .. حاجةماينفعش حد يعرفها . »

حلو أوى .. دى البداية ، تقوليلى سر .. يبقى بتثقى فيا .. وبعد الثقة يجى الحب والكلام ده كله .. أنا مُتفائل .. زى ما يـــــ ..

قاطعته : « أنا بحب وليام ! »

ساد الصمت للحظة ، وانفجر بركان بداخله .. وحاول إخمـاده ببعض قطرات من القهوة ولكنه اشتعل أكثر .. وكأنه خُلق كـى لا يخمد ..

أضافت: « مش قادرة أحدد إمتى حسيت بكدة .. ومـش عارفـة

أعمل إيه ؟ »

لم يُضِف شيئًا لما قالت .. لم يُجب .. ظل حبيس الصمت .. وظلت الحُمم البُركانية تسبح فيه بلا تراجع .. فأكملت : « لكن ده غلط، وأنا عارفة إنه غلط .. مستحيل .. مش عارفة إيه الحل ! »

حب على طريقة (يوسف شاهين) .

أشاحت بوجهها بعيداً، فشعر أنه قال ما لا ينبغي قوله فحاول إصلاح ذلك : « مش بأيدينا يا دينا .. متضايقيش نفسك . »

أنا مش عارفة أعمل إيه ؟!

لازم الصمت .. لم يُجب ! .. وما الذى يُفترض به أن يقول على أى حال ؟ .. بعض المُعادلات غير قابلة للحل

(22)

قال (ثلج) بصوته الناعق: « عليك أن تقتل نصف ظلـــك لتجـــد النصف الآخر .. حتى تعود كما كُنت بظل كامل .. لا أحد يعبـــأ بك غيرك، لا أحد يرغب بالحياة إلا أنت .. الموت لم يكـــن يومـــاً نقيض الحياة، الموت هو الحياة بعينها، الموت هو السبيل الوحيد لإيجاد نصف ظلك المفقود . »

ظل أحمد صامتاً بينما ثلج لا يتوقف عن النعيق، الجسم الخشـــبى الماثل أمامه للبومة الثلجية يُحدق به .. وكأنه يريد التحـــدث هـــو الآخر ..

طرق باب منزله فقام من جلسته مُتثاقلاً وفتح البـــاب فـــإذا بـــه (هشام)، دلف الأخير من الباب ، يحمل بيـــده بعـــض الأكيـــاس البلاستكية مطبوعًا عليها رجلاً يحمل على كاهله عصى مربوط بهـــا كيس قماشى ومكتوب عليها (فتح الله) وتركها على الطاولة أمامـــه وقال : « أنا جبت أكل عشان نتغدا سوا . »

تسلم .

أثناء تحضير (هشام) للطعام فى المطبخ قال لـــ (أحمد) ليقتل الملل :

« سمعت عن الجريمة اللى حصلت فى عين شمس ؟ »

تذكر أحمد السكين ، الدم البارد ، القميص المُلطخ بالدماء .. أومأ برأسه فأكمل هشام : « لقو القاتل خلاص .. كان طالب فى الجامعة .. بيقول إنه قتله عشان الأستاذ ده اتجوز بنت كان بيحبها السواد ده فى الجامعة .. »

وأضاف : « على رأى أم كلثوم (ومن الحب ما قتل) . »

تنفس أحمد الصعداء وقال : « طب الحمد لله إنهم لقوا القاتل . »

تناول الاثنان غداءهم بلا كلام .. إلا من بعض الأحاديث العادية الفارغة من أى شيء .. ثم قال أحمد بعد أن بلع الطعام الممضوغ فى فمه : « سُهاد عايزانى أمثل معاها فى مسرحية . »

قال هشام والطعام فى فمه : « وانت بتعرف تمثل ؟ »

لا ! .. بس هاحاول .. المفروض أروح البروفة بالليل النهاردة .

ولما انت مابتعرفش تمثل وافقت ليه ؟

صمت قليلاً يُفكر فى سؤاله ثم عاد لأول إجابة وصل لها عقله : «معرفش !».

ابتسم (هشام) وأردف : « أنا عارف وافقت ليه . »

فى المساء وبعد أن ذهب هشام لدوام عمله ، توجه أحمد للمسرح الذى يُفترض بهم التدرب على العرض به .. تعجب أعضاء فريق

التمثيل لوجهه ذي التجاعيد وشعره الأبيض الثلجى فأجاهم أحمـــد قبل أن يسألوه : « شيخوخة مُبكرة .. مرض وراثى . »

لم يُعقب أحد بعدها .. أو يرمى ملاحظات على شـــكله، وبـــدأ قراءة النص ودوره بهدوء وسط الفريق .. واحتفظ بنسخة من النص المسرحى ..

(23)

مر شهر تقريباً ، كانت الآلام تعتصره يوماً بعد يوم .. كانت تحكى له كل شيء .. حتى أدق التفاصيل .. لم يكن يتذمر بل كان يستمع .. لم تنظر (دينا) مرة لمشاعره المُهانة من تلك الأحاديث .. حـاول مرات عديدة أن يُقنعها باستحالة العلاقة ومرات أخرى يشـاركها الأمل الزائف .

كان يتخيلها مع وليام طوال الوقت ..

يداعب شعرها البني الناعم بأصابعه، تداعب أصـابعه، تغمـض عينيها بنشوة فيقترب منها ، يقبلها ، فتستسلم له بلا شك !

ينفض الأفكار من رأسه .. فتسبح سكاكين في صدره ، تقطعـه لأشلاء من الداخل .

في الغرفه المقابلة له تستمع أمه لأغنية (قارئة الفنجان) لعبد الحليم حافظ.

وسترجع يوما يا ولدي

مهزوماً مكسور الوجدان
و ستعرف بعد رحيل العمر
بأنك كنت تطارد خيط دخان

فقال لنفسه بسخرية : « كفايه أفورة ! »

فحبيبة قلبك ليس لها أرضٌ
أو وطن أو عنوان
ما أصعب أن تهوي امرأةً
يا ولدي ليس لها عنوان

فقال في نفسه : « هل سافر نزار قباني للندن و التقي بـــ (دينا)؟»
قرر بعد ذلك أن يخرج من منزله وليستمتع قليلا بهواء لندن قبيـــل رجوعه لمصر .. فلمْ يبقَ إلا أيام قليلة على رجوعه ..كانت الســـاعة قد تجاوزت التاسعة و النصف ..

قاد سيارته الهوندا الصغيرة ذات اللون الأحمر و بدأ يدلف الشارع تلو الآخر بلا عنوان محدد حتى رأى وليام يستقل تاكسي، فقـــرر أن يراقب وجهته بلا مبرر .. ربما فكر قليلاً في دينا وصـــعدت صـــورة وليام وهو يقبلها لرأسه ، فتابع سيارة التاكسي حتى توقفت عند أحد

الشوارع العامة .. نزل وليام بهدوء من السيارة، تبدو ملامحه ثابتة وكأنه تمثال .

ركن يوسف سيارته وتابع تقدمه خلفه بدون أن يراه، لم يلتفت وليام على أي حال، كانت خطواته ثابتة ومركزة بدقة، لو أن يوسف باليابان لظن أنه إنسان آلي .. دلف الزقاق بعد الآخر ويتابعه يوسف بهدوء حتى رآه يخرج سكيناً من سترته ثنائية الوجه، ويقترب بهدوء نحو رجل أربعيني يدلف الزقاق وحده .

وببرود حاد طعنه وليام في ظهره وكتم فمه بيده اليسرى حتى لا يصرخ .. حتى أخرج آخر أنفاسه وسقطت تلك الجثة الهامدة التي كانت قبل دقيقتين معبأة بالحياة.

ارتجف يوسف مما رأى فلم يتحرك من مكانه، استبدل وليام وجه سترته ثنائية الوجه بالوجه الآخر وأخفى السكين واختفى عن أنظار يوسف بثبات خطواته التي لم تتغير .

جرى يوسف بفزع لسيارته الهوندا و استقلها راحلاً عن المكان وجميع أطرافه ترتجف حتى صار من المستحيل أن يتابع القيادة، توقف في إحدى زوايا الشارع يلهث وكأنه في سباق، دقات قلبه تزيد، وبدأ العرق يتصبب من جبينه .. التقط قرصًا من دوائه الإضافي الذي يحمله في سيارته وبلعه بلا ماء.

« جريمة أخرى تنسب لسفاح لندن »

بقلم : إيميلي ستاركشر في : 2015/2/5

« في الخامس من شهر فبراير للعام 2015 سجلت جريمة أخرى لذلك السفاح الطليق منذ بضعة أشهر ويطلق عليه أهل لندن (جاك السفاح) و لم تتوصل الشرطة للسكين المستعمل في الجريمة .

في الآونة الأخيرة صار ذلك السفاح حديث لنـــدن، حيـــث إن الشرطة تنسب له الجرائم الغامضة التي لم يتوصلوا لفاعلها حتى الآن، حتى صار مصدر الشك الأوحد، مما زاد من عدد الجرائم في المدينة. ضباح أمس عثر أحد المارين على جثة ملقاة في أحد الأزقة، ملطخة بالدماء ... »

طَرق يوسف باب مترل دينا ففتحت له وقالت مبتسمة :

« اتفضل »

جلس أمامها في الصالة يتفحص وجهها الشاحب، تتفحص وجهه المسحوب.

تشرب إيه ؟

مش وقت شرب .. أنا جاي أقول لك على حاجة وماشي بسرعة.

طب ثواني نعمل القهوة.

قالتها ودلفت إلى المطبخ تعد القهوة فيما ظل يوسف يرتب أفكاره.. كيف سيخبرها بما رأى ؟!

عادت بعدها بفنجانين من القهوة، التقط يوسف الفنجان منها وابتسم قائلاً : « شكرا.. اسمعيني كويس وركزي معايا .. »

ارتشفت قطرات من فنجانها فتابع يوسف قائلاً : « لازم تبعدي عن وليام .. ولازم نبلغ الشرطة عنه ». .

ضحكت دينا وقالت : « بطّل هزار شوية ».

أنا مابهزرش .. أنا شفته أول امبارح وهو بيقتل قدام عيني .. استني.

أخرج من جيبه ورقة اقتصها من الجريدة تحمل الخبر، وقال وهو يضعها بين يديها: « الخبر دا أنا شفته قدامي أول امبارح، وليام هو اللي قتل .. أنا حاولت أكذّب نفسي لكن دي الحقيقة ».

قرأت الخبر بهدوء وارتشفت من فنجانها قطرات إضافية وقالت : « يوسف .. أنا عارفة إنك متضايق علشان بتحبني وأنا مش قادرة أحس بده .. بس دي طريقة قذرة تقنعني بيها إني أكرهه ».

تلعثم في الكلام ولم يستطع النطق فأكملت: « من فضلك اخرج من هنا .. مش عايزة أشوفك تاني »

(24)

ظل لأسبوع متواصل يتابع البروفات مع فريق التمثيل، يملؤه الحماس .. لم تعد اللهجة الصعيدية شفرة من شفرات الحرب العالمية الثانية.

حتى جاء يوم العرض ..

في صباح ذلك اليوم استيقظ باكراً وظل محدقاً في نصف ظله الذي انعكس على الأرض لثوانٍ، وقف أمام المرآة يتأمل وجهه كبير السن وشعره الأبيض الثلجي.

قبل تلك المباراة التي صار بعدها بهذا الشكل لم يفكر يومًا بالتمثيل، لم يفكر يوماً ماذا سيفعل عندما يصيبه الشيب .

لم يفكر يوماً أنه سيستيقظ ليكون ملطخاً بالدماء وبيده سكين.. ازتدى ملابسه على وجه السرعة، وعبأ حقيبته بالزي المسرحي والسكين ذي المقبض الخشبي.

أثناء ارتدائه الزي المسرحي (عباءة بيضاء وعمة) دس السكين داخل العباءة ..

بدأ العرض باستعزاض مميز قبل أن يدلف المسرح، كان مفتاح دخوله لخشبة المسرح هو انتهاء العرض، قبل أن تنضم سهاد

للاستعراض مالت على أذنه وهمست بصوت منخفض يكاد يسمع: « أنا بحبك ».

فابتسم وكأنه سيبدأ للتو حياة جديدة تماماً..

تابع نصف ظله الملقى على المسرح وهو يقوم بأداء الـــدور أمـــام سهاد .. بينما ثلج يهمس في أذنه: « الموت هو الحل .. لقد اقترب موعدك ».

(25)

تابع يوسف وليام خلال اليومين المُنقضيين، لم يبقَ على سفره إلا يوم واحد فقط.. كان يراقبه عن كثب وبيده هاتفه، ينتظره لينفذ جريمة أخرى حتى يُبلغ الشرطة على الفور.. حتى رآه بصحبة (دينا) صباح ذلك اليوم.. تابعهما بهدوء حتى اصطحبها وليام إلى منزله، وأغلق الباب خلفه بإحكام ..

قالت له دينا : « ماذا كُنت تريد مني يا وليام ؟ »

ابتسم وليام وأغمض عينيه للحظة، ثم عقد حاجبيه وتحاشى النظر لعينيها: « سأحضر الصودا أولاً ».

وعاد بعد لحظات يحمل بين يديه زجاجتين من الصودا الباردة، بينما هي تحدق في صورة (آرثر كونان دويل) على الحائط ..

مازلت أحب قصص ذلك الرجل .. أنا فخورة أنك من أحفاده ..

احمرّ وجه (وليام) للحظة قبل أن يشكرها بخجل ..

متى بدأت بالكتابة ؟

منذ الصغر .

كيف بدأ الأمر ؟

حسناً .. هناك شيء لا أستطيع فهمه.. ولكنها الحقيقة على أي

حال، يبدو الأمر غريباً بعض الشيء لذلك عليكِ أن تصدقيني ..

أومأت (دينا) برأسها فأكمل : « ما إن أُمسك القلم والأوراق حتى أرى القصة تُرسَم أمامى فأبدأ بكتابتها، بالطبع أحاول تحديد ملامح القصة قبل الكتابة.. ولكن ما إن أمسك بالقلم حتى أراها وكأنها حقيقية أمامى ، أشخاص حقيقيون يتجسدون أمامى .. أفقد كل حواسى، فلا أسمع أو أرى أو أشم شيئًا إلا تلك القصة، أحداث القصة تمر أمامى كفيلم مُتقن الصنع .. حقيقى بالكامل. »

هذا غريب ولكنى أصدقه .. دائماً ما كنت أعتقد أن الكُتاب لديهم القدرة على رؤية المُستقبل .

هذا مُبالغ فيه قليلاً .. أنا لا أرى المستقبل .. أو لنقل لا أعلم إن كان ذلك المستقبل أو الماضى أو مجرد قصة تمر أمامى فحسب .

جلس الاثنان على الأريكة فتنهد وليام وقال : « دينا، هناك شيء أود إخبارك به .. بدون تلك اللعبة .. اتفقنا ؟ »

ما هو ؟

شعر الاثنان بالنشوة تقتحم جسدهما .. أغمض وليام عينيه وقال وكأنه يقرأ كتاباً أو يحفظ ما يقول: « أشعر بانجذاب ناحيتك .. فى الحقيقة، أنا أحبك ! »

قالها وأشاح ببصره بعيداً وحُمرة الخجل تُخيم على وجهه، فقالت (دينا) : « هذا مستحيل يا وليام .. »

لاذ بالصمت فأكملت : « أنت تعرف هذا جيداً .. إن ذلك مستحيل .. ولكنى أحبك أيضاً .. وهو ما يجعل الأمر صعباً ! »

نهض من جلسته تجاه طاولة قريبة، وأمسك بسكين قصير وقال : « أعلم أن ذلك مستحيل .. ومن المستحيل أن تكونى لأحد غيرى».

اتسعت عيناها لرؤية السكين بيده، تذكرت كلمات يوسف وحديثها معه ..

ماذا تفعل؟

أفعل ما أحب .

ركض ناحيتها وبحوزته السكين، فقامت من جلستها وركضت ناحية الباب .. حاولت فتحه ولكنها لم تستطع فركضت فى اتجاه عشوائى بينما صار (وليام) يطعن كل شىء حوله بهيستيريا .. حاوطه (يوسف) من الخلف وألقى به بعيداً .. ركضت دينا تجاه يوسف فقام وليام من الأرض وقال بلهجة جنونية : « ماذا تفعل عندك ؟ »

أحاول إنقاذها منك ..كما يفعلون بالأفلام .. ألا يبدو ذلك واضحاً ؟ .. آه بالمناسبة تحتاج لزجاج جديد لإصلاح شباكك .. لقد كسرته لأدخل !

ضحك وليام بهيستريا وقال له : « إن كان الحل الوحيد لإنقاذ فتاة هو القتل ، فلن تُنقذها .. أنت من قلت ذلك . »

أنا أكذب كثيراً .. أريد التخلص من هذه العادة !

ركض وليام ناحيته فأمسك يوسف بيده التي تحمل السكين وركله بباطن قدمه في بطنه .. مما جعله يسقط على ظهره وتسقط السـكين من يده بعيداً .. ثم انقض عليه وأمسك برقبته ..

بينما (دينا) اتخذت ركنًا من أركان الغرفة وتكومـت كـالجنين تبكي بفزع ..

أحكم قبضته على رقبة وليام.. حتى رحل وليام عن عالمنا بهدوء..

(26)

المشهد الأخير من مسرحية (عذراء الصعيد) ، الآن على (أحمد) أن يُخرج السكين المطاطية من جلبابه وأن يطعن بها (سُهاد) فى صدرها .. نعق ثلج بصوته الناعق وطار بالأجواء بين زوايا المسرح وفوق رؤوس المشاهدين .. يعود لأحمد بعد أن يُنهى جملته الأخيرة بالعرض قبل أن يطعنها ويهمس : « إنها النهاية .. إنها النهاية ! »

أخرج (أحمد) السكين ذا المقبض الخشبى وترك ذلك السكين المُزيف بين طيات جلبابه ..

« عشان توصل لنص ظلك التايه ، لازم تقتل النص التانى .. »

تردد صوت صورته المُستقبلية بعقله، نظر للسكين نظرة أخيرة .. سكين بارد، يلمع نصله الفضى تحت أضواء المسرح ..

اقترب من (سُهاد) ببطء أكثر من اللازم، يتراجع خطوة ثم يُقدم خطوتين .. وقف أمامها وعيناه تلمعان بالدموع .. يبتسم ، فيعبس وجهها .. تهز رأسها ببطء تنفى ما يتخيله عقلها !

يرفع السكين بجهة عكسية ويطعن نفسه فى بطنه ..

ساد الصمت لثوان قبل أن تصرخ (سُهاد) بينما الدم ينفسر مـــن جسده ليُغطى عباءته .. سقط وعيناه مُثبتتـــان علـــى (سُـــهاد) ثم أغمضت من تلقاء نفسها .. واختفى نعيق ثلج .

(27)

جلس (يوسف) على سريره .. عقله يكاد ينفجر ، أطرافه ترتعــــد.. اختفى من عينيه البريق .. نظر لباطن كفيه يُقلّبهما، من اليوم صــــار قاتلاً، بارداً كالثلج، تجتاحه مشاعر لم تُترجم بعد.. عقله لم يستوعب بعد.. ولن يستوعب !

تذكر وجه صديقه (سعد) الذى مات بسببه مُنذ 5 أعوام !
تذكر وجه (دينا) وهى ترتعد خوفاً فى أحد زوايا شقة (وليام) !

أن تُصبح قاتلاً لإنقاذ فتاة ، أمر صعب .. ولكنــــه لم يكــــن يومــــاً مُستحيلاً !

قلبه يزيد من سرعة نبضه ، لم يعد يؤمن بالتمهل .. كسيارته ذلــــك اليوم ..

أمسك بعُلبة الدواء الخاصة به .. أفرغ ما بها بكفيه ..
كفيه اللذين قاد بهما سيارته ذلك اليوم بسرعة جنونية تســـببت فى

موت صديقه ..

كفيه اللذين أحكم بهما على رقبة (وليام) حتى فارق الحياة ..

كفيه اللذين دلفا بالأقراص دفعة واحدة بفمه .. وأمسك بزجاجة مياه باردة وشربها دفعة واحدة ليبتلع الأقراص ..

نام على ظهره، يُخالطه شعورٌ بالبكاء والضحك معاً !!!

فنزلت دموعه بلا بريق بينما استمر ضحكه الهستيرى حتى أغمض عينيه للمرة الأخيرة .. وتوقف قلبه تدريجياً عن النبض ..

« ضحية السفاح كاتب »

بقلم : إيميلى ستارك نشر فى : 2015/2/8

« فى مساء أول أمس عُثر على الكاتب الشاب (وليام دويل) مقتولاً فى شقته شنقاً .. كما عُثر على سكين مطبخ مُلقاة فى مسرح الجريمة وقد أوضح الــ ....»

(28)

الجاذبية تسحبه لأسفل، يسقط، لا يرى مُستقره، لا يـــرى مصـــدر الجاذبية، كل ما يراه ..لا شيء !

نفق مُظلم قاتم السواد والأعماق بلا قمر يتغذى علـــى ضـــوئه.. يسقط لأسفل بلا مُستقر ..لا نهاية للنفق، رأسه لأســفل وجســـده مستقيم لا يتحرك .. فقد القدرة على تحريكه ولا يدرى متى، عينـــاه تبحثان عن شيء تلتهمه ولكن الظلام ابتلع كل شيء هنا ولا وجود لنقيضه ليحاربه .

فى النهاية لا مفر من المواجهة .

النفق مُظلم ولكن هناك قوة ما تسحبه لأعلـــى .. يـــده الـــيُمنى مفرودة يُسحب منها وكأنه مُنقاد .. النورُ الساطع يزحـــف لـــيملأ سكنات النفق المُظلمْ قاتم السواد ..

« أحمد ! »

يسمع النداء يتكرر عدة مرات .. يفتح عينيه ببطء جـــراء ذلـــك الصوت، يختلط صوت النداء بالدقات الرتيبـــة لجهـــاز (نبضـــات القلب)..

الإنعاش

إنعاش

إن عاش

شعر بيد دافئة تُمسك بكفه .. التفت ببطء وبدأت عيناه باستقبال الضوء الساطع للغرفة والتعود عليها .. تهتز الصورة أمامه لثوان قبل أن توضح ..

« سُهاد ! » تمتم بها بصوته المخنوق، رفعت (سُهاد) عينيها اللتين اغرورقتا بالدموع .. ابتسمت ولم تتوقف دموعها .. ابتسم لها واستهلك منه رفع كفه الأيسر وملامسة كفها جهداً وطاقة، قالت وصوتها مخنوق من الدموع: «أحمد .. عملت فى نفسك كدة ليه ؟!»

أجابها بابتسامة، فتابعت بكاءها بصمت ولم تنتبه لتشابك أيديهما..

دلف (هشام) من باب الغرفة وتابعه الطبيب الذى قال بلهجة لطيفة مُخاطباً سُهاد : « تعالى نسيبه يرتاح شوية ، حالته فى تحسن الحمد لله. »

أضاف (هشام) : « متقلقيش ، هو أحمد كدة .. كل يومين نجيبه

من مستشفى . »

ابتسم (أحمد) فأضاف (هشام) : « شد حيلك يا عـــم أحمـــد .. مش عارف عاجبك فيها ايه ؟! »

نظر له كُل من فى الغرفة فقال : « المُستشفى ! »

خرج (أحمد) منْ المستشفى بعدها بأيام قليلة .. دلف من بـــاب منزله فعكس الضوء المُنبعث من الخارج ظله الكامل مُلقى أمامه على الأرض ..

مشى بخطوات هادئة ناحية المرآة فلاحظ تجاعيد وجهه التى بدأت تزول ، لم تختفِ بالكامل ولكنها بدأت بالرحيل شيئاً فشيئاً ..

لامس شعره الثلجى الذى بدأت بعض خصلاته تتحـــول للونهـــا الطبيعى (الأسود)

ابتسم ودلف إلى غرفته فلم يجد مُجسم البومة الثلجية فى مكانه .. بحث عنه فى جميع أرجاء الغرفة بلا فائدة ، وكأنه لم يكن موجـــوداً من البداية .

لم يسمع نعيق (ثلج) مُجدداً .. اختفى (ثلج) مثلما اختفى المُجسم فى المساء ذهب للشارع الذى رأى به شبيهه ، دلف إلى الزقاق تلـــو الآخر حتى ذهب لوجهته، فلم يجد باب المخزن الخشبى.

تمت .

شكر وتقدير

لكُل من ساهم فى إخراج هذا العمل للنور ..

وبالأخص :

أمى وأبى .

صديقى ورفيق دربى (أحمد الديب) .

شريكاى الأمثلان فى الضحك والبكاء (كريم أحمد – عصام شمس) .

صديقاى المُبدعان (أمنية و محمد) .

صديقتاى القريبتان والعزيزتان (إسراء و أُميمة) .

شركاء البهدلة (أحمد شعبان – محمد أسامة – أحمد هانى – أحمد خالد) .

أخى وأختى .

.... (نور) .

شكراً عشان مستحملينّى ☺ .

للتواصل مع الكاتب :

https://www.facebook.com/ahmed.zewail.92

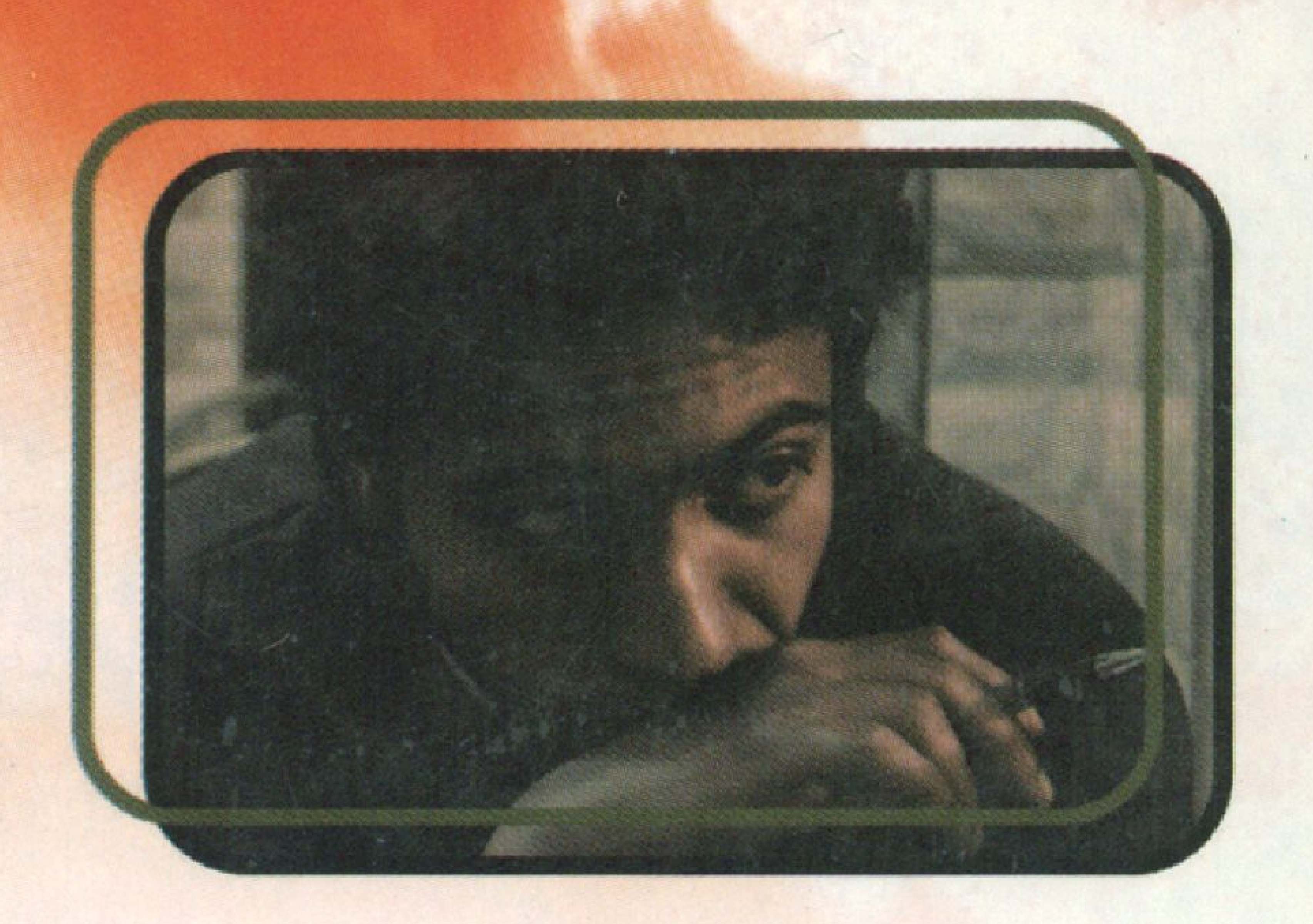
https://www.facebook.com/ahmed.m.zewail1994



الإسكندرية ، ج . م . ع

01018831361

01022842898



أحمد محمد زويل

من مواليد الإسكندرية عام ١٩٩٤
صدر له من قبل رواية "التوابع" عن دار حسناء للنشر.
وله كتاب "سيريالي" ورواية "شهريار" عبر النشر الإلكتروني.

الجاذبية تسحبه لأسفل، يسقط، لا يرى مُستقرّه، لا يرى مصدر الجاذبية، كل ما يراه .. لا شيء!

نفقٌ مُظلم قاتم السواد والأعماق بلا قمرٍ يتغذى على ضوئه.

يسقط لأسفلَ بلا مُستقَر.. لا نهاية للنفقِ، رأسه لأسفل وجسده مستقيم لا يتحرّك.. فقدَ القدرة على تحريكه ولا يدري متى، عيناه تبحثان عن شيءٍ تلتهمانه، ولكن الظلام ابتلع كل شيءٍ هنا ولا وجود لنقيضه ليحاربه.

في النهاية لا مفرّ من الاستسلام التام.

المقاومة الآن أشد من الغباء.



